

اللعين

محمد محمود



ليبيث للنشر
والتوزيع

اللعين

محمد محمود

13953 / 2014 ط1

الترقيم الدولي / 5- 79 - 5311 - 977 - 978

غلاف / محمد محمود

حقوق الطبع محفوظة لدى الناشر

ليليت للنشر والتوزيع

الإشراف العام / إيمان سعيد

رئيس لجنة قراءة د/ سالم ابراهيم سالم

مدقق لغوي أ/ أحمد عبد العظيم

المراسلات : 60 ش سكيانة بنت الحسين

كفر عبده - الإسكندرية

ت : 01224272327

: 01022661632

Dar.lilite@gmail.com

lilitepublishing@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

obeikandi.com



على غير العادة دخلت مكنتى فلم أجد فيه أحداً ..
إلا هو ..

رجلٌ وسيمٌ رشيق القد طويل القامة، ناعم الشعر
أسوده، حليقٌ أنيقٌ، أبيض البشرة أسود الحُلَّة .. كان يجلس
وإحدى ساقيه تعلو الأخرى ..

أعترف أن هيئةً أَلقت بظلالها علىَّ بمجرد أن طالعت
هيئته، أَلقت عليه السلام:

- السلام عليكم .

فهُض من مجلسه مبتسماً واكتفى بالإيماء محيياً، فأشرت له
بالجلوس:

- تحت أمرك ؟

جلس على المقعد المقابل للمكتب وقال فى جدية:

- أود أن أرفع قضية .

- على من ؟

- على الناس !



ضَيِّقَتْ عَيْنِي وَسَدَدَتْ نَظْرَاتِي إِلَيْهِ مُسْتَفْهِمًا فَاسْتَطَرَدَّ

يقول:

- ظَلَمُونِي ظُلْمًا بَيِّنًا، كُلُّ ذَنْبٍ يَقْتَرِفُونَهُ يَنْسُبُونَهُ إِلَيَّ،
كُلُّ قَبِيحٍ فِي نَفْسِهِمْ يَلْحَقُونَهُ بِي، كُلُّ كَذِبٍ أَوْ ادِّعَاءٍ أَوْ
خِيَانَةٍ، كُلُّ سَبٍّ أَوْ شَجَارٍ أَوْ إِهَانَةٍ، كُلُّ جَرِيْمَةٍ قَتْلٍ أَوْ
حَادِثَةٍ اغْتِصَابٍ أَوْ وَقْعَةٍ زِنَا، كُلُّ الْقَضَايَا أَنَا دَوْمًا الْمُتَّهَمُ
الْأَوَّلُ فِيهَا ..

كُلُّ هَذَا وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَلَا أَحْرُكُ سَاكِنًا، أَكْتَفَى بِأَنْ
أَفْتَحَ عَيْنَيَّ وَفَمِي عَلَى اتِّسَاعِهِمَا، ذَلِكَ الْإِتِّسَاعُ الَّذِي بَلَغَ
مَدَاهُ حِينَ أَجَابَنِي عَلَى قَوْلِي:

- لَمْ أَتَشْرَفْ بِمَعْرِفَةِ حَضْرَتِكَ بَعْدَ ..

- إِبْلِيسُ !

- مَنْ ؟

- نَعَمْ .. أَنَا إِبْلِيسُ .

- هَلْ أَنْتَ مُخْتَلٍ عَقْلِيًّا ؟!



- هل تريد إضاعة وقتك في إثبات ذلك ؟
- للأسف .. وقتي لا يسمح، اعذرني، يمكنك عرض قضيتك على محامٍ آخر .. سأدلك على محام ..
توقفت الكلمات في حلقى وأنا أراه يختفى عن ناظري دون سابق إنذار، وقبل أن أنبس بينت شفةٍ كان خلفي تماماً، ثم اختفى مجدداً ليعاود الظهور هذه المرة أمام المرأة التي لم تظهر صورته، ثم اخترق الباب المغلق خارجاً من الغرفة ليعود إليها عن طريق الجدار المقابل ..
ارتمتي جسدي على المقعد بعد أن انفصل تماماً عن عقلي، لم أعد أعى أو أدرك شيئاً مما يجري حولي، وكأنه حلم .. بل كابوسٌ لا أستطيع الإفافة منه ..
وبينما جسدي غارقٌ في المقعد وعقلي غارقٌ في زهولٍ منقطع النظير إذا به يجلس أمامي وهو يعدّل وضع رابطة عنقه:

- هذا إثباتٌ سريع؛ حتى لا أهدر وقتك الثمين !



- ولكن ..

- أعرف أعرف .. شكلى ليس كما تراه فى الأفلام،

ثانية واحدة ..

وفى لمح البصر تحوّل إلى كائنٍ عارٍ أحمر اللون، له ذيلٌ وقرون وفى يده سهم ثلاثى الرؤوس، والنار تخرج من فمه .. لم أدرِ إلا وهو يحاول إفاقتى بعدما عاد لصورته التى رأيته بها أول ما رأيته ..

- ههههه لماذا خفت إلى هذا الحد .. هذه ليست صورتى الحقيقية، إنما هو تلفيقٌ من بنى آدم، دوماً أكون فى أفلامهم ورواياتهم بقرونٍ وذيل، يظنون أنى مادمت مخلوقاً من النار فأنا شعلة .. لهب يمشى على قدمين، وينسون أنهم مخلوقون من طين، فهل إذا غرست فى أجسادهم بذرة ستنبت .. يمكنك إضافتها لملف القضية، فهذه الهيئة الملفقة تشوه صورتى وتخط من قدرى ولا تتناسب أبداً مع وجاهتى الاجتماعية ..



- صمت قليلاً ونظر إلى وأظهر الشفقة على حالى ..
- أعلم ما يدور بنفسك الآن .. لكن تماسك .. واطمئن
- أنا لست هنا لأضرك .. إنما أنا بحاجة إليك .
- جاهدت الكلمات وكأني أحاول إخراجها من حلقى
- بيدى، وبعد محاولات عدة قلت بصوتٍ متهدج:
- أأ أنا.. وو .. ولماذا أنا بالذات ؟
- ليست هذه قضيتنا .. هل تسمح لى أن أدخل فى
- صلب الموضوع مباشرة ؟
- هل رآك أحدٌ من قبل ؟
- قلت قبلاً إن وقتك ثمين، وأراك تضيعه !
- الشيطان بنفسه ينصحنى بالحفاظ على الوقت !
- ألم أخبرك أنى مظلوم .
- وماذا تريد منى بالتحديد ؟
- أولاً .. أن تقتنع .
- بم ؟



- بأنى مظلومٌ وحقى مهضومٌ وأنى أستحق غير ما
أحصل عليه .

- ماذا تقصد ؟

- أن يعترف الناس أنى إله !

قاطعته فى ذهول :

- ماذا تقول ؟

لم يبدُ أنه سمعنى، أو ربما لم يأبه لكلامى، وراح يستطرد
قائلاً:

- أو قل نصف إله، يكون الله إله الخير وأنا إله الشر، هو
إله العالم العلوى وأنا إله العالم السفلى .. أعتقد أن هذا
أبسط حقوقى ..

- أنت حتماً تُخَرِّف !

- لماذا .. أليس الله طيباً لا يقبل إلا طيباً ؟

أليس الله جميلاً يحب الجمال؟

أليس الله محبة ورحمة وشفاء وسلام وسعادة ؟



فلأكن أنا السوء والقبح والكراهية والقسوة والمرض
والحرب والكآبة ..

ألستم من ينسب إلى الشر بكل صنوفه ؟
أنتم تؤمنون أني إله الشر، وكل ذنب تلحقونه بي دليل
عمليُّ فعليُّ على ذلك ..

- الآن أنت تعترف على نفسك بكل هذه التهم .
- لو كنت قاضياً .. بمَ كنت ستقضى ؟
- بأنك المحرض على كل تلك الجرائم .
- هذا اعترافٌ منك بأن ما تسمونها ذنوباً هي من فعلي،
وأنا خالقها .. وأني إلهها !

- أنت لست سوى مدّعٍ .. إن كنت أنت خالقها
فاقضِ عليها لتثبت ذلك، ثم أعدّها إن شئت أيها الإله
المزعوم ..

كل شيءٍ على وجه الأرض خلقه الله .. أنت نفسك
خلقك الله وأمهلك إلى يومٍ معلوم .. ألا تذكر يوم وقفت



أمام الله ذليلاً ترجوه الإمهال .. ثم الآن تطالب بالمساواة به.. تريد أن تُسمّى إلهاً وتتقاسم معه الألوهية والربوبية؟؟
 أنت فقط مجرد محرّض .. كله ما تستطيعه هو الوسوسة والحديث الخفى ودفع الناس للذنوب بتزيينها ..
 - تقول إن الله هو من خلق هذه الشرور ..

وهل يليق بك وأنت العبد المتأدب مع ربه أن تلحق به الشر فتجعله خالقاً للكراهية والألم والقبح والمرض والظلم والسوء؟

- إن الحرب والكراهية والظلم لم يسمح الله بها إلا ليختبرنا ونحن نجرب تلك الحرية التي منحها لنا، وأية تجربة تتحمل الصواب أو الخطأ، وقد وعدنا بالعفو عن الخطأ إن اعترفنا به وندمنا عليه ..

الله لم يأمر بالحرب والكراهية والظلم، ولا يستمتع بإصابة عباده بالمرض ولا الألم، وإنما خلقها لحكمة، فالمرض



إذا أصابنا اكتسبنا مناعة، والألم إذا أصابنا اكتسبنا القوة
والتحمل والجلد ..

كما يمكنك اعتبارها عينات من عذاب أكبر، نتذوق
هذه العينات لنحذر العذاب الكبير، ولنخشى الله أكثر،
ولنتعلم أن الدنيا ليست مقرّاً ولا مستقرّاً، ليست دار نعيمٍ
دائم، وكأنها تنبيهٌ للغافل؛ فهي بذلك عين الرحمة ..

- رحمة؟ هل تسمى العذاب رحمة؟

آية رحمة تلك في أن يكون عقاب الذنب الصغير في
الدنيا الزائلة عقاباً لا نهائياً في نارٍ أبدية؟
هذه هي القسوة عينها ..

- بالعكس .. الأب حينما يعاقب ابنه فهو يحبه، والمعلم
حينما يعاقب تلميذه فهو يوجهه، ولو أهملوا عقابهم
لاهتمناهم في حبههم ونعنتناهم بالتقصير في حق هذا الابن
وذلك التلميذ ..



أترى إن كان التلميذ لا يذاكر ورسب في الامتحان، هل
تنعت المعلم بالقسوة لأنه نبّه هذا التلميذ الغافل لعله يعدّل
من سلوكه ؟

أكنت تطالبه بأن يعدّه من الناجحين ؟

أما عذاب الآخرة، فهو ليس قسوة كما تدّعى ..

الله يحاسبنا يوم القيامة على ما نقدّم من عمل، وهو
مطلّع على النفوس، ويعلم ما فيها، ويعلم أنه إذا مدّها
العمر ستبقى على هذه الحال، فلو امتدّ بك هذا العالم الزائل
لبقيت على ما في نفسك من خيرٍ أبدى لتستحق نعيماً أبدياً،
أو تبقى على شرك الأبدى لتستحق جحيماً أبدياً ..

وأنت خير دليلٍ على ذلك، فقد أمهلك الله ومنحك
الأبدية، فهل تراجعت عن شرك وهل تغيّرت نفسك ..
أبداً، ولن يحدث، لأن الشر فيك أبدى أزليّ، لذا تستحق
عذاباً أبدياً أزلياً ..



- مادام الأمر كذلك وكل شيءٍ من الله جميل، حتى العذاب والشروع والبغض والظلم والألم تسمونها رحمة، فلماذا تلك الازدواجية حينما تعتبرونها تهماً وجرائم لا تغتفر وتلصقونها بي ؟

لماذا لم تعد رحمة، لماذا لا تقولون إنى أرحمكم بتلك الأشياء ؟

- الله حينما سمح بهذه الأشياء إنما أراد اختبارنا بها، وأمرنا بعكسها ليقس مدى تفهمنا لفكرة الحرية التى أنعم علينا بها، فالله حين يسمح للألم أن يصيبنا فإنما هو يذكرنا به ويلجئنا إليه ويعيدنا إلى طريقه ..

أما أنت فتغويننا بهذا الأشياء لتبعدنا عنه وتضلنا عن طريقه، وشتان الفارق .. أنت توردنا مورد هلاك، بينما الله يضع لنا المساعدات على طريق الحرية الذى رسمه لنا، حتى نفيق إذا غفلنا ونعود إليه .



- سمعتك تتكلم عن حرية .. أألزلت تصدق تلك
الأكذوبة القديمة وذلك الوهم الكبير ؟

أنت لست سوى دمية كنتك التي في مسرح العرائس ..

أنت مجبورٌ مقهورٌ لا إرادة لك ولا اختيار بيدك ..

أليست كل أعمالك مكتوبة في كتاب؟

أليس الله يعلم كل شيء ؟

أليس خالق كل شيء، ويعلم ما توسوس به النفس ؟

أم تدعى أنك تستطيع أن تغير ما في علم الله ؟

إن كان قد كتبك في أهل النار فأنت في أهل النار لا

محالة، لا ينفعك عملٌ ولا أمل ..

- لم يكن الإنسان يوماً مقهوراً ولا مجبوراً، كلُّ فعلٍ

يُقدم عليه الإنسان يكون بكامل إرادته، وكل عملٍ يعملُه

يكون بقرارٍ ذاتيٍّ سياديٍّ منه، ويكون هو صاحب الفاعلية

المطلقة فيه، لا أحد يتدخل في قرارات الإنسان ولا اختياراته

الحرّة التي يحاسبه الله عليها .



- وماذا تقول في القدر ؟

- القدر ليس قدرة .. إنما تقدير، الله يعرف ما نفعل من قبل أن نفعل، ولا يقهرنا عليه، مثل الأب إذا خرج ابنه طالبه بالعودة مبكراً، وهو يعلم تمام العلم هل سيعود مبكراً أم لا، والصديق الذي ينتظر صديقه ويعلم إن كان سيتأخر أم سيأتي في مواعده، والزوجة التي تطهو طعاماً لزوجها وتعلم تعليقه من قبل أن يقوله، أو كالمعلم الذي يضع اختباراً ويعرف من سيجتازه ومن سيخفق فيه ..

هو لم يقهر أحداً على فعله، لكنه بحكم خبرته بهم أدرك التوالى بإدراكه للمعطيات ..

قام من مقعده ودار حوله وهو يفرك يديه، ثم قال في

خبرته:

- تقول إن المعطيات معروفة والتوالى معلومة وكله مثبتٌ عنده في كتاب ..



فإذا كانت الأشياء معروفة ومحددة مسبقاً .. فما الجدوى من الدعاء ؟

ما فائدة التضرع والابتهاال والبكاء في أمورٍ مكتوبةٍ مقضية لا يمكن تغييرها ؟

- الدعاء يرد القضاء ويغيره، ومنه قصة المرأة التي ذهبت لسيدنا موسى ليدعو الله أن يرزقها الولد، فيقول الله له: إني قد كتبتها عقيم، فتأتيه مرة ثانية، فيقول الله له: إني قد كتبتها عقيم، حتى رآها سيدنا موسى بعدها وهي تحمل طفلاً، فسأل الله فأخبره أنه كلما كتبتها عقيم قالت يارحيم، فسبقت رحمته قدرته .

- هذا يعني أن ما كتبه الله عنده قابل للتغيير والتعديل، وهذا يناقض قولكم بعلمه اللامتناهى ..

- ما كُتِبَ في اللوح المحفوظ لا يتغير ولا يتبدّل وهو الثابت في علم الله، إنما يتبدّل ما في صحف الملائكة ليوافق ما في اللوح المحفوظ ..



كعبدٍ نزلت الملائكة إليه بقضاءٍ ما .. حادثةً مثلاً، فلما دعا الله غيرَ ما في صحف الملائكة .. فيكون المكتوب في اللوح المحفوظ أن حادثةً كانت ستصيبه لولا أنه دعا الله فأنجاه منها .. فبذلك يكون قدره في صحف الملائكة قد تغير ووافق المثبت في أم الكتاب ..

- أنت تقول إن الله يعلم ولا يجبر، وكل شيءٍ من اختيارك أنت، فقل لى .. هل اخترت أبويك؟
هل اخترت الزمان الذى تولد فيه؟
هل اخترت شكلك أو لونك أو جنسيتك؟
هل لك يدٌ فى لون عينيك أو طول قامتك ؟
لا تكذب على نفسك .. لقد خلقت فى عالمٍ لا اختيار لك فيه البتة .. اعترف .. أنت مُسير .

- كفاك تدليساً، أنت تتحدث عن أشياء لا حساب فيها، الله لن يدخلنى النار يوم القيامة لأنى كنت قصيراً، ولن يدخلنى الجنة من أجل سواد عيونى، لن يسألنى الله لماذا كان



فلانُ أباك، أو لماذا أنت أبيض البشرة، بل سيسألني عن أعمالي وأفعالي التي هي عين اختياري ومن صنع يدي ..

- ولماذا يسألك وهو العالم ؟

- إنه لن يسألني مستفهماً، بل يسأل مؤنباً، منتزعاً اعترافاً بالذنب، كأن يرى الأب ابنه يضرب أخاه، فيسأله: هل ضربت أخاك؟ ألم أهلك عن ذلك؟ ألا تعرف أن هذا تصرفٌ خاطئ؟ وهو في كل هذا لا ينتظر جواباً؛ لأنه بالأصل يعلمه، لكنه ينتظر اعترافاً بالذنب وندماً عليه، ثم اعترافاً بعد توقيع العقاب بالعدالة والاستحقاق .

يتجه نحو النافذة ويسدد نظراته إلى الشارع، ويشير إشارات عشوائية إلى المارة ويقول بطريقة درامية مفتعلة:

- عدالة؟ وهل في الحياة ذرة عدالة؟

طفلٌ يولد على فراشٍ وثيرٍ من ريش النعام وفي فمه ملعقةٌ ذهبية، يتنعم في صنوف الحلوى والأطعمة الشهية .. إن انتهى نال، وإن رغب أدرك .. وطفلٌ مسكينٌ يولد من



رحم الفقر، لا يجد ما يسد رمقه ولا ما يغطي جسده ويستر عورته .. وآخر يولد بأمراضٍ لا تنتهى، يقضى عمره بين المستشفيات، والحسرة فى قلبه أقوى من المرض فى جسده حينما يرى غيره يتمتع بالصحة والعافية ..

عن أى عدلٍ تتحدث ؟

- أولاً دعنا نتفق أن الحياة دار فناء، وليست مقر بقاء، خلّقنا فيها فى بيئات مختلفة وظروف متباينة اختباراً، فالغنى الصحيح ليس مفضلاً عند الله، والفقير المريض لا ييغضه الله، إنما الله يختبر شكر الأول وصبر الثانى، يرى كيف يتصرفان فى الحيشات التى وُضعت لهما، وكيف يتعاملان مع الظروف التى وُجدت فيها .. كما أن بعض النفوس صلاحها الفقر، والمال يفسدها، بينما لا يصلح لنفوسٍ أخرى سوى الغنى .. كما أن الرزق لا يقتصر على المال فقط، ولكل إنسانٍ نصيبٌ كاملٌ من الرزق يتساوى به مع غيره، لكن الاختلاف فى التقسيم؛ فمنهم من زاد نصيبه فى العلم على



حساب المال، ومنهم من زاد نصيبه في الصحة وحُرم العيال،
فما تم لأحدٍ عطاء، ولا تم لأحدٍ حرمان، فتمام العطاء
والحرمان مؤجلٌ ليوم الفصل والعدل .

- وهل من العدالة أن يفرّق الله بين أنبيائه المختارين؛
فيصيب أيوب بالأمراض والعلل، ويغدق على سليمان من
الهبات والعطايا ويُمَلِّكه الدنيا ؟

هل من العدل أن يموت جنديٌّ صغيرٌ شهيداً ويُحرم
القائد هذه الميثة، فيموت خالد بن الوليد على فراشه ؟
هل من العدالة أن يكون أغنى الأغنياء كافراً به، بينما
يكون أنصاره ومتبعيه هم أفقر خلقه ؟
أين العدالة في ذلك ؟

- وهل صرت وصياً على الله تجادله فيما يصنع ويفعل،
وهو أعلم أين يضع رزقه، وما يصلح عباده، ألم أخبرك أن
الله يبتلى عباده اختباراً وامتحاناً، وكذلك الأنبياء .. فهم
بشرٌ كغيرهم، يجري عليهم ما يجري على البشر، ابتلاهم الله



ليكونوا مثلاً لغيرهم يحتذونه إذا قابلوا نفس الابتلاء وعاینوا
عين الاختبار، إذن فكلها اختبارات لا تفضیل فیها لأحدٍ
على الآخر ..

وأى شخصٍ إذا أراد اشتراء هدية لأصحابه لا يشتري
لهم جميعاً الهدية عينها، وإنما بعلمه بشخصية كل صاحب
واحتياجاته ينتقى لهم الهدية المناسبة لظروفهم واحتياجاتهم،
وما يصلح لهم ويصلحهم ..

أما قولك فى استحقاق القائد للشهادة دون الجندى
الصغير فهذه محابة لا يعرفها الله .. ليس مجرد كونه قائداً
فهو يستحق الشهادة أكثر من غيره .. لعل الله نظر فى
قلوبهم ورأى هذا الجندى الصغير الذى لا يعجبك أكثر
إخلاصاً من قائده، وأكثر إيماناً بقضيته وبالتالى أصبح أكثر
استحقاقاً للشهادة ..

وفى حالة خالد بن الوليد حكمة بالغة .. خالد هو سيف
الله المسلول، ولا يجوز لسيف الله أن يكسره مشرك، بل



يغمده الله بنفسه، لذلك كان موته على فراشه هو ما يناسبه..

وإن كنت تقصد أجر الشهيد فالله بإمكانه أن يمنحه أجر الشهيد وإن مات على فراشه إن اطلع على قلبه ووجده يستحق هذا الأجر..

أما استنكارك أن يكون الكفار وغير المسلمين أغنى من المسلمين فهذا أكبر دليل على عدالة الله الذى لا يحابي عباده، ولا يجامل المتدينين، إنما يعطى كلاً حسب عمله.. من جد وجد، ومن زرع حصد، أما الدين فحصاده يوم القيامة، فثمرة الجد النجاح، وثمره الدين الفلاح، ولا خلط بين هذا وذاك..

وبالأصل.. الله لم يأمرنا بالمكوث في المساجد ليل نهار دون سعى للرزق وعمارة الأرض وتغيير الكون..
نظر إلى نظرة احتقارٍ وامتهانٍ وقال بنبرةٍ ساخرة:
- تغيير الكون ؟!



وهل تظن أنك أنت الضعيف المسكين البائس تستطيع
تغيير الكون ؟

يا لك من واهم !

- وهل غيّر العالم من قبل غير ضعفاء مساكين بائسين
أمثالي؟

وهل كان ابن سينا أو ابن خلدون أو نيوتن أو جاليليو
أو أديسون أو نوبل أو زويل إلا مثلي؟

نحن خلّقنا بالأصل لتغيير العالم، وقد منحنا الله القدرة
على ذلك، كل ما علينا هو اكتشاف تلك القدرات الكامنة
فيها والتي من خلالها نقدّم للعالم ما يغيّره ..

أليس من اخترع المصباح والهاتف والساعة والحاسب
والقطار والسيارة والطائرة والصاروخ بشراً؟ ألم يغيروا العالم
بما قدموه له ؟

- وهل نسيت من اخترع الديناميت والبارود والبنادق
والقنبلة الذرية والنووية والهيدروجينية ؟



- أراك تتبرأ من أنصارك!

أولاً ليسوا جميعاً دعاة فساد، فبعضهم اخترع هذه الأشياء لخدمة البشرية؛ مثل نوبل الذى اخترع الديناميت كان يهدف باختراعه إلى إراحة العمال في المناجم، ومن اخترع الأسلحة كان يهدف إلى حماية نفسه أولاً، لكن بعض النفوس الضعيفة التي نجحت أنت في التسلل إليها استعملت هذه الأشياء في الاعتداء على الآخرين، وهذا من فساد قلوبهم، وهو ثمرة ما زرعته يداك في نفوسهم الخبيثة التي امتلأت ناراً فأصبحوا شياطين مثلك ..

أثارت هذه الحملة الأخيرة حفيظته وبدا الغضب والغيط في كل ملمح من ملامحه وهو يقول:

- مثلى؟! اسحبها من فضلك .. لا أحد مثلى .. أنا أفضل من بنى آدم جميعاً، لا تحط من قدرى وتشبههم بى ..

- أزلت على كبرك الأزلى الأبدى؟

أزلت تصدق أنك أفضل من آدم وبنيه؟



ألازلت غارقاً في ضلالك القديم ومصرّاً عليه؟

- إنها الحقيقة .. أنا أفضل من بنى آدم، أنا مخلوقٌ من نار.. وهم مخلوقات طينية .

- إذا افترضنا جدلاً أن النار أفضل من الطين .. فهل يستلزم شرف الأصل شرف الفرع؟

وهل تقتضى أفضلية النار -المزعومة- على الطين أن يكون المخلوق من النار أفضل من المخلوق من الطين؟!!

ثم من جزم أن النار أفضل من الطين؟!!

ألقى بذرة في الطين ثم انظر ماذا تنتج؛ شجراً وثماراً وزهراً، صنوفاً من الأطعمة الشهية وأنواعاً من الروائح الذكية، فضلاً عن المنظر الرائع البديع، ونفس البذرة ألقها في النار تحترق وتتحول رماداً .. كذلك الحرية والإرادة والقدرة، زرعها الله في المخلوقات الطينية التي لا تعجبك فأنتجت، وزرعها فيك فأحرقتها بكبرك وتعاليك، وكذلك كل من اتبعك؛ إذ إن نفوسهم نارية مثلك ..



- هذا أكبر دليل على ظلم الله .. مجرد اختلاف واحد في الرأي وزلة لحظة .. تكون نتيجتها الخلود في العذاب الأبدى !!

- اختلاف رأى؟!!

الله لا يعطى آراء تُناقش، الله يُصدر أحكاماً تُنفذ، وما اقترفته أنت ليس اختلافاً في الرأى، بل ذنباً كبيراً ..
ولو افترضنا أنه ذنب واحد وأنك خالفت الله مرة واحدة، ورفضت السجود لآدم .. فهل تراجعته عنه وندمت عليه .. أبداً لقد كنت ولازلت مصراً على ذنبك ثابتاً عليه ..

وانظر إلى غريمك، ألم يخالف آدم أمر ربه -بتسويل منك- وأكل من الشجرة التي نهاه ربه عنها، وعوقب نفس عقابك؛ أخرجته الله من الجنة كما أخرجك، لكنه ندم وتاب واستغفر، فكانت عاقبة ندمه توبة الله عليه وعودته بإذن الله إلى الجنة خالداً منعماً يوم الحساب، بينما أنت أذبت أولاً



بالكبر ثم بالإصرار عليه، والإصرار على الصغيرة كبيرة،
وبدلاً من أن تطلب العفو طلبت الإمهال لغرضٍ دينيٍّ حقير،
فأمهلك الله .. وها أنت تستمر في ضلالك محاولاً إغواء
أكبر عدد ممكن من أبناء غريمك الأول قرناً بعد قرن ..
لم يكن أبداً ذنباً واحداً ولا زلةً للحظة، فقد اخترت
الأبدية في نفس الطريق وعلى نفس النحو، ولم تفكر للحظة
في التوبة والندم والرجوع إلى طريق الحق .

هز رأسه هزةً تنم عن التهكم الذي بدا في صوته:
- وهل تظن أن ربك سيغير موقفه مني إن ندمت
وأعلنت التوبة واعترفت بالخطأ وقدمت كل فروض الولاء
والطاعة ؟

إنه لا يُقرُّ إلا ما يريد .. ولا يقبل إلا ما يعجبه ..

ألا تذكر حين آمن فرعون وهو يغرق ؟
رفض الله إيمانه رغم إنه يعلن دوماً أن باب التوبة مفتوح
أمام الجميع ..



- باب التوبة بالفعل مفتوحٌ أمام الجميع، ولكن التوبة لها شروط، وأهم تلك الشروط هو شرط الوقت، التوبة تُقبَّل في كل الأوقات إلا عند معاينة الغيبات؛ لا توبة عند الموت، ولا عند شروق الشمس من مغربها ..

يعيث الإنسان في الدنيا فساداً، لا يعبأ بأمرٍ ولا نهي، ولا يشغله حرامٌ ولا حلال، يقترف ما شاء من المعاصي، ويرتكب ما طالت يده من الموبقات، ثم إذا جاءه الأجل وفارقه الأمل ونُزعت منه القدرة أظهر الطاعة والخضوع ..

أى عدلٍ هذا حينما يقبله الله ويساويه بمن اعترف بذنبه وتاب عنه وهو يملك القدرة على اقترافه ويستطيع الاستمرار فيه، كهذا الطالب الذى أضاع الأيام في اللهو واللعب والعبث، ولا يفتح كتاباً ولا يعرف جواباً، حتى إذا دخل لجنة الامتحان بكى وطلب السماح له بالعودة للمذاكرة .. هذا ندمٌ وقت لا ينفع الندم، وتوبة بعد أن أغلق باب التوبة ورحل قطار العفو .



وضع ساقاً على ساقٍ وابتسم في خبثٍ وهو يقول:

- إن سلّمنا أن الله أغرق فرعون لأنه مذنبٌ مجرمٌ

يستحق ما آل إليه، فما بال ضحايا طوفان نوح ؟

ما ذنب الأطفال الصغار الذين لم يجرِ عليهم تكليف ؟

- وهل صرت محامياً عن هؤلاء الضحايا الأبرياء !؟

ثم إنك تعرف جيداً كذب ما تقول؛ فالله قد أعقم أرحام

النساء من قوم نوح قبل الطوفان بأربعين عاماً، وعليه فيكون

أصغر من غرق في الطوفان قد بلغ أربعين سنة؛ أى صار

بالغاً عاقلاً واعياً يجرى عليه التكليف ..

- ما هذه الرحمة التي لا حد لها .. أعقم أرحام النساء

قبل الطوفان ..

وهل أعقمها قبل الزلازل والبراكين والعواصف

والأعاصير ؟

كم من كارثةٍ طبيعية تقع ويكون ضحاياها رجالاً ونساءً

وأطفالاً وشيوخاً ؟



- وأين القسوة أو الظلم في هذا، فكل إنسانٍ مآله إلى الموت عاجلاً أو آجلاً، على فراشه أو في حربٍ أو في عاصفة أو طوفان أو بركان، يُقضى أجله على أى نحوٍ ثم يُحاسب كلٌّ على قدر عمله، وفي هذا رحمة؛ فمن لم يجِرِ عليهم التكليف منهم فهم الولدان المخلدون في الجنة، ومن بلغ حد التكليف يُحاسب كمن مات على فراشه ..

بل إن بعض هذه الميتات تُعدُّ شهادة، فتكون رحمة الله الواسعة قد شملتهم وأجرٌ عظيمٌ منه قد عمَّهم، وربما كان عذابهم الأخير قبل لفظ أنفاسهم الأخيرة كفارة لهم، أرايت كم وجهاً للرحمة هنا؟

ثم إن البراكين والزلازل وغيرها ليست مصائب كما تحاول أن تصورها .. فهي أشياء عارضة بالأصل لا تتجاوز الثواني القليلة في عمر البشرية المقدَّر بملايين السنين ..

ثم إن البراكين مثلاً تخرج ما في باطن الأرض من معادن وثورات مخبوءة .. بالإضافة إلى دور الطبقة البركانية في



خصوبة التربة .. والزلازل تنفّس عن الضغط المكبوت تحت
القشرة الأرضية فتحميها من الانفجار .. وتعيد تثبيت
الجبال في أماكنها كأحزمة مثبتة للأرض ..

فليست الأمور على هذا النحو من السوء كما تصوره ..
وليس ما يصيب الإنسان من سوءٍ إلا وللخير فيه نصيب ..
وانظر إلى قصة الخضر مع موسى .. فقد قتل غلاماً وذلك
مصيبه بالنسبة لأهله .. ولكن ما وقع في علم الله أن هذا
الولد فاسد وسيتعاب أبويه .. فأراد الله أن ييدلّهما خيراً
منه .. وكذلك ما أجرى في السفينة من خرقٍ يبدو في ظاهره
فساداً .. لكن الحقيقة أنه بذلك يحفظ عليهم سفينتهم إذ
يعيها حتى لا تؤخذ منهم .. فالمصائب والكوارث التي نراها
كذلك بأعيننا القاصرة محدودة الرؤية ليست سوى خيرٍ
مستتر لا يعلمه إلا من عنده العلم اللدني الكلي .. وله
القدرة المحيطة بكل خلقه .. ويعلم ما يصلح لهم ويناسبهم
فيسوقه إليهم بعلمه وقدرته ..



ثم إن من مات على فراشه أو مات في حادثة أو كارثة سيحاسب -مادام مكلفاً- حسب عمله؛ فإن كان خيراً دخل الجنة وإن كان شراً دخل النار ..

- وماذا عن الأخوين اللذين تعبّد أحدهما في محرابه ستين سنة، ولما عصى الله يوماً واحداً ومات على معصيته دخل النار خالداً فيها .. بينما عصى أخوه ستين عاماً واستباح فيها صنوف الذنوب ولما تعبّد يوماً واحداً ومات على حاله دخل الجنة ..

كيف بمعصية يومٍ واحدٍ بعد عبادة عمرٍ كاملٍ تخلد بصاحبها في عذابٍ مقيمٍ ؟

ألا يوجد تقديرٍ لستين سنة من العبادة والزهد والتصوّف ؟

وكيف بعبادة يومٍ واحدٍ بعد ستين سنة من الذنوب والمعاصي تعدل خلوداً في نعيمٍ مقيمٍ ؟



- أتحب أن أفاجئك .. أول من تُسَعَّر بهم النار: مقاتل شهيد، وعالم علّم الناس القرآن، ورجلٌ غنيٌّ تصدَّق بماله .. هؤلاء افتقروا لأهم شرطٍ لقبول الأعمال، وهو النية .. يبعث الله الناس يوم القيامة على نياتهم، فمن لم تَخُلُص نيته لله لم يقبل الله عمله، فهذا الذي عبد الله ستين سنة لم يكن قلبه مطمئناً بالإيمان، لكنه كان مثلك .. يعبد ليقال عابد، وتترقى درجته ويعلو في العيون، أما نفسه فنارية شريرة، والدليل على ذلك أن عبادة ستين عاماً لم تنفعه حينما تهيأت له ظروف المعصية، والله يعلم أن أمثال هذا لو امتد بهم العمر إلى الأبد لبقوا على حالهم لا يتوبون .. تماماً مثلك ..

أما الآخر فقد كان يتقلَّب في صنوف المعاصي، لكن بمجرد أن رأى قلبه شعاعاً من هداية الله حتى تَمَرَّد على ماضيه وتاريخه وذنوبه ومعاصيه وخلع جلده وفتح قلبه لشعاع الله، فأشرق في حناياه بعدما أدرك حقيقة الدنيا،



وأدرك أنه أضاع الماضي بغفلته، فلم يشأ أن يهدر المستقبل،
والله يعفو ويغفر ويتوب على من يسأله التوبة مادامت
شروطها متوافرة ..

- تقول إن الله أرسل له شعاعاً من الهداية فمس قلبه
فآمن!

ماهذه الشاعرية ؟!

لقد أوقعت نفسك في مأزق كبير .. معنى كلامك أن
الله يرسل لبعض الناس ويغفل بعضهم، فما ذنب من لم
يرسل الله إليه رسولا ؟

ما ذنب الناس في أول الزمان وفي فجر التاريخ وفي عصر
الديناصورات ؟

ما ذنب هؤلاء الذين عاشوا قبل زمان الأنبياء ؟
ما ذنب هؤلاء الذين يعيشون في مجاهل أفريقيا وفي
غابات الأمازون وفي بلاد واء الواء ؟!



ابتسمت ابتسامة استخفافٍ بما قال وأومأت برأسى
قائلاً:

- أعترف أنك تمتلك قدرة كبيرة على السفسطة وحشو
الأكاذيب الكثيرة في الجملة الواحدة وكأنها تعضد بعضها
لتبدو في النهاية حقيقة واضحة .. لكنك لا تتقن الكذب
بقدر ما يتقن أنصارك ومريدوك التصديق والتسليم .. تكيد
وتكيد ويبقى كيدك ضعيفاً واهياً ..

حتى حينما كدت لآدم وصوّرت له أنه إن أكل من
الشجرة المحرمة يغدو ملاكاً أو يصبح من الخالدين، في حين
أنه لو فكّر قليلاً لتذكر أن الملائكة نفسها سجدت له .. فما
حاجته في أن يصير ملاكاً، أما بشأن الخلد .. فإن كانت
الشجرة تخلص من يأكل من ثمرها، فلماذا لم تأكل أنت منها
وتكفي نفسك عناء التذلل لله بأن يقيقك حيّاً إلى يوم الوقت
المعلوم ؟

لو كان آدم تفكّر وتأمل ضعف كيدك لما أطاعك ..



ابتسم ابتسامة واهية وقال محوَّلاً زمام الكلام محاولاً
إخفاء ارتباكاه:

- هل تتهرب من الإجابة ؟

أم تُرى ذلك الكيد الواهن الضعيف أصبح قويّاً متيناً
وأعجزك رده ؟

- بدايةً .. لم أقل إن الله أرسل إليه شعاعاً أو اختصه به،
إنما قلت إن قلبه رأى شعاع الله، فنور الله لا يبرح الكون،
لكن بعض القلوب النقية تستطيع استقباله والاستغراق فيه،
وبعضها يرفض فتح نوافذ الإيمان لاستقبال نور الله، فتبقى
تلك القلوب مظلمة معتمة تعيش فيها الظلمات ليل نهار، أو
قل ليل ليل، فتلك القلوب لا تعرف النهار أبداً ..

أما قولك إن الله لم يرسل رسلاً لكل الناس فهذا محض
كذبٍ وافتراء، الله أخبرنا أنه ما من أمةٍ إلا خلا فيها نذير،
ولم يكن ثمة زمانٌ قبل زمان الأنبياء كما تدّعى .. فأول من
سكن الأرض نبيُّ، ولم يخلُ زمانٌ من نبيٍّ قط، لا في زمن



الديناصورات ولا في غيره، ولم يخلُ مكانٌ من نبيٍّ أيضاً ..
حتى مجاهل أفريقيا التي تشير بعض العادات المتوارثة عندهم
إلى بقايا أديانٍ قديمة، وكل الحضارات في كل العصور قد
عرفت الإله الواحد وإن اختلفت في تسميته، وهذا دليلٌ
على أن الله قد أرسل إليهم من يهديهم إليه، أو ربما يكون
الله قد أوحى إليهم مباشرةً وألقى في قلوبهم فكرة التوحيد،
ثم إنه قد يقبل منهم مجرد إيماءة أو التفاتة إلى السماء أو لحظة
تأمل فيه وفي وجوده ووحدانيته ..

قاطعني قائلاً:

- وأين دليلك أصلاً على وجود الله ؟

- ومن خلق الكون إن لم يكن الله موجوداً ؟!

كلُّ شيءٍ يدور في فلك الكون حولك هو دليلٌ ماديٌّ
قاطعٌ على وجود الله ..

كيف ينشأ هذا الكون من تلقاء نفسه بدون يد صانعة له

مهيمنة عليه؟!



هل يُعقل أن أقول إن كتلاً من الحديد انصهرت
وتشكلت على شكل هاتف وتكوّنت برامجه ووظائفه
الحيوية بمحض الصدفة ودبت فيه الحرارة بطريقة ذاتية ودون
تدخلٍ من أحد؟!!

إن كان هذا لا يُعقل في حق الأشياء البسيطة فما بالك
بالكون المركّب المعقّد ..

أخبرني باسم شيءٍ في الكون تكوّن من تلقاء نفسه، أو
أوجدته الصدفة ..

كل شيءٍ حولك في الكون يدل على صانعه وخالقه
الأوحد ..

- ومن أدراك أنه واحدٌ، وأنه ليس ثمّة آلهة أخرى لهذا
الكون ؟

ومن أين أتى الله؟ ومن خلقه ؟

- الله هو الخالق، والخالق لا تنطبق عليه قوانين خلقه،
ولا يجوز أن يكون خالقاً ومخلوقاً في آنٍ واحد، فلو كان



مخلوقاً لكان غائباً قبل أن يُخلق، ولاحتاج لقوةٍ وقدرةٍ أكبر منه لتخلقه، فإن كانت هناك قوة وقدرة أكبر منه فكيف يكون إلهاً عليها، ولو كان مخلوقاً لكان له أوّل، ومادام له أوّل فله آخر، وهذا كله ممتنعٌ في حق الله ..

ربما لا تعي ذلك لأنك تسير وفق قوانين المخلوقات التي وضعها الخالق، والتي ترى لكل شيءٍ بدايةً ونهايةً، ولا تعرف شيئاً لا بداية له ولا نهاية، كتلك العرائس التي تتحرك بالخيوط وتحسب أن الإنسان الذي يحركها يتحرك بالخيوط هو الآخر، ولا تدرك محدودية عقلها وعدم استطاعته إدراك ما يفوق إدراكه ..

فالمخلوقات كلها لها بداية ونهاية، أما الخالق فلا بداية تحده ولا نهاية توقفه ..

أما بشأن الوجدانية .. فكل شيءٍ في الكون يدل على وحدانيته، انظر إلى كل المخلوقات .. تجدها تعيش وتنفس وتأكل وتتكاثر وفق نظامٍ واحد وإن اختلفت الكيفيات،



كلٌ حسب رتبته ودرجته في السلسلة الحيوية، وتجد كل الكائنات تتكون من نفس الوحدة المكونة وهي الخلية .. وكل المواد لها نفس النظام .. نواة وإلكترونات وبروتونات، كل هذه الوحدانية في أصول الكون دليلٌ على وحدانية الخالق والصانع والمصور، وتؤكد أن الواحد واحد منفرد ..

ثم لماذا تتعدد الآلهة والأصل في الإله الكمال، والتعدد لا يكون إلا في ناقصٍ يحتاج إلى من يكمله، والله كاملٌ مَرَّةً عن أى نقصٍ أو عيب، ثم لو كان لله شريكٌ في ربوبيته .. كيف يتفق الشركاء ملايين القرون وبلايين السنين ؟ كل الشركاء والقرناء والأزواج يختلفون وربما ينفصلون ويفضُّون الشراكة .. تخيّل أن الآلهة فضّت شراكتها وذهب كل إلهٍ بما خلق ..

ثم لفترض أن للكون آلهة أخرى .. أين هم؟



إذا وجدنا مالا في الشارع ولم ينسبه لنفسه إلا واحد،
ولم نجد غيره يدعيه لنفسه وينازعه فيه فهو له قطعاً ودون
شك، ولم يخرج علينا أحدٌ يدّعي الألوهية إلا ومات وفني
وهلك .. كل هذا يؤكد وحدانية الله وانفراده بالألوهية
والربوبية ..

- أنت تحاول بغير علم ..

فربك نفسه الذي تدافع عن وحدانيته قد أكّد أن ثمة
خالقين غيره ..

أو لم يخبر أن عيسى يخلق من الطين طيراً ونحوه ..
ثم إنه لما أراد أن يمدح نفسه لم يفرد نفسه بالقدره على
الخلق ..

وإنما قال إنه أحسن الخالقين .. مما يؤكد وجود خالقين
غيره ..

- لست أنا من يتكلم بغير علم .. إنما أنت من يدلس
ويحمل الكلام غير معانيه ..



ليس ثمة خالق حق في الكون غير الله الواحد الأحد الفرد
الصمد ..

صحيح أن الله تعالى وصف نفسه أنه أحسن الخالقين،
إذن فهناك خالقين آخرين، لكن الفرق كبير، فأولاً كلمة
يخلق في اللغة تعني يصنع .. وهو ما عناه الله من وصفه
لعيسى بالخلق قبل أن يخبر أنه ينفخ من روحه فيما صنع
عيسى بيديه فيصبح طيراً بإذنه ..

فهو بذلك الخالق الوحيد وواهب الروح والحياة لما صنعه
عيسى بيديه بأمرٍ من الله وإذنٍ منه ..

ثم إن الله يخلق من معدوم، أما غيره فيخلق من موجود..
فمن يصنع قلماً يصنعه من مادة أوجدها الله تعالى ..

وخلق الله يأتي بمثله بإذن الله، أما خلق البشر فلا، فلا
يوجد قلم ذكر وقلم أنثى ينتجون لنا أقلاماً صغيرة ..

كما أن خلق البشر يبقى على حاله فلا يكبر ولا ينمو
على عكس خلق الله فتبارك الله أحسن الخالقين ..



- وإن كان الله واحداً كاملاً عالماً كما تقول .. فلماذا
تتعدد الأديان السماوية ؟

لماذا ينزل الله ديناً ثم يبطله بدينٍ آخر ؟
وكيف يأمرنا بالدخول أفواجاً في دينٍ ثم يأمرنا
بالانسلاخ منه والدخول في دينٍ جديد ؟
ولماذا يحلُّ شيئاً ثم يعود ويحرّمه في الدين نفسه، فينسخ
أحكامه وكأنه يغير رأيه ؟

كيف يطالبنا بالثبات على الدين وهو نفسه لا يثبت
عليه ؟

- تعدد الأديان لا يعنى تعدد الآلهة ولا جهل الإله ولا
نقصه، وإنما يرجع إلى تعدد مستقبلى الأديان وجهلهم
ونقصهم، فالله ينزل الدين بما يناسب مستقبله، وبما يعالج
مشكلاتهم، وبما يوافق قدرة عقولهم على الاستيعاب، فلما
وعوه وأدركوا ما فيه تدرّج معهم إلى مرحلة أكثر تطوراً ..
وانظر إلى استقبال بنى إسرائيل للكتاب الأول .. تجدهم في



حيرة كبيرة والتباسٍ شديد، فلما نضجت العقول إلى حد يسمح برسالة جديدة أنزلها الله لهم وهم على استعدادٍ لها .. حتى إذا وصلت البشرية إلى تمام النضج الذى يسمح لها باستقبال الدين الخاتم الجامع الشامل أنزله الله عليهم فى الزمان والمكان المناسبين لاستقباله، ووضعهما فى التربة التى تتيح له النمو والإزهار .. فتعدد الأديان ليس اختلافاً .. إنما تدرُّجاً، وأصول وثوابت هذه الأديان واحدة، ولا اختلاف إلا فيما يناسب أهل كل دين .. بيئتهم وزمانهم وعقولهم وما يصلحهم وما يصلح لهم ..

وكذلك نسخ الأحكام .. ليس غير تدرُّج؛ فالخمر كان يوضع على الموائد مثل الماء، لا يشربون غيره، فإذا حُرِّم الخمر قطعياً لن يدخل أحدٌ منهم الإسلام .. أما التدرُّج فهو رحمة .. يبعدهم عنه خطوة بخطوة .. حتى إذا وجد فيهم القدرة على استقبال الأمر كاملاً أصدره إليهم وكلفهم به .. فالتدرُّج رحمة يمنُّ الله بها على عباده .



- مادام الله رحيماً .. فلماذا يحرم عباده من بعض نعمه في الأرض؛ فيحل أشياء ويحرم أشياء أخرى .. وكلها من صنع يده .. فإن امتنعوا عن المحرمات حرم ما أحل بالصيام.. إن الله الذى تسميه رحيماً يستمتع بعذاب عباده وحرمانهم ..

- الدنيا بالأصل ليست دار نعيم .. إنما هى دار اختبار، وضع الله أمامنا السبيل الذى يوصلنا لدار النعيم المقيم، وحتى نستحقه علينا أن نتنازل عن بعض الأشياء فى الدنيا، بينما وضعت أنت العراقل التى تمنعنا بلوغ هذا النعيم، وأوهمتنا أن النعيم بين أيدينا، وأغريتنا بالمعاصى وأقنعتنا أن لها لذة عظيمة ..

ثم إننا لو نظرنا فيما حرم الله لوحدنا أن فى تحريمه خيراً كثيراً، فالله حرم الخمر الذى يذهب العقل ويدفع الإنسان اللاعقل حينها إلى اقتراف الجرائم فى غياب وعيه وإدراكه، وحرم الزنا الذى لو لم يكن لتحريمه حكمة سوى حفظ



الأنساب من الاختلاط لكفى، وهكذا .. كلُّ تحريمٍ وله علة، تماماً كتحريم ثمرة الشجرة على آدم .. فبعض التفسيرات تشير إلى أنه كان يرتع في الجنة كما يشاء، يأكل كل ما تشتهى نفسه ولا يُخرج فضلات؛ لأن ما قَدَّرَه الله له من الطعام يساوى ما يحتاجه جسمه دون زيادة أو نقصان، حتى أكل من الشجرة فاختل هذا التوازن، فكانت النتيجة أن أنتج جسمه الفضلات التي عبَّرَ عنها السياق القرآني بأنه رأى سوائه وراح يوارئها بورق التوت .. فانتهاك الحرمات يؤدي إلى اختلال التوازن الذي رسمه الله بعناية فائقة ..

أما الصيام فهو عبادة نؤديها لنستحق الجنة، ولله منها حكمة بالغة وهي تدريبنا على التقوى وتقوية الإرادة والعزيمة والصبر عن المحرمات، وكأنَّ هذا الشهر الكريم هو فترة إعدادٍ كالتى تقوم بها فرق كرة القدم قبل بدء الموسم،



فهو شحن للتقوى في قلوبنا حتى نستطيع مواجهة إغرائتك
اللاهائية ..

- والصلاة .. هل هى أيضاً سلاح لمواجهةى ؟
إن ربكم يتمتع بإذلالكم فى الصلاة كل يوم ..
تضعون أنوفكم فى الأرض مهديرين كرامتكم وكبرياءكم
تحت مسمى العبادة ..
أين العبادة فى ذلك ؟

- المعبود وحده هو من يحدد طريقة العبادة التى ترضيه
والتي يعلم مدى صلاحيتها ومناسبتها لعباده .. تماماً كالمعلم
الذى يحدد طريقة الشرح التى تناسب تلاميذه وتأتى بنتيجة
ترضيه فى النهاية ..

ثم أين الإذلال فى السجود إلى الأرض .. أولسنا منها ..
أو لم يخلقنا الله من ترابها .. إن الأرض هى أصل أجسادنا ..
لذلك أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد .. لأن
مكوناته تقترب من أصلها .. مكونه المادى الترابى يكون



أقرب ما يكون إلى أصله .. الأرض، فيكون مكونه المعنوى
الروحانى أقرب ما يكون إلى أصله .. الله ..

لا إذلال أبداً فى ذلك .. بل إنها قمة العزة ألا نتعلق بغير
خالقنا وننفذ ما أمرنا به ..

ثم إن للصلاة متعة ولذة لا تستطيع أنت إدراكها .. إنها
لقاء مع الله .. نقف بين يديه ونناجيه .. أنا لا أراها عبادة
بقدر ما أراها منحة من الله للبشر .

- والحج .. أتراها منحة أيضاً من الله .. أم مجرد
ازدواجية ..

أليس هو نفسه من حرّم عبادة الحجر واتهم عبّاد الأصنام
بالكفر، ثم يأمركم أن تطوفوا حول حجر وتقبّلوا حجر
وترموا حجر بحجر .. إنها الوثنية بعينها .. يحاربها ربكم ثم
إذا به يأمركم بها ..

أليست ازدواجية ؟



- أولاً كلمة حجر لا تساوى كلمة صنم؛ فالصنم هو الحجر المنحوت على هيئة مخلوق يُعبد من دون الله، وهو ما حرّمه الله على خلقه .. حرّم أن يعبدوا ما سواه ..

أما مسألة الحج فهي ليست وثنية بالمرّة إنما هي مسألة رمزية تبدأ بخروج الناس من بلادهم ومناصبهم وأحوالهم وحتى ملابسهم، وتجردهم من كل شيء يتفاوتون فيه، ليلتقوا في مكانٍ واحدٍ .. يتساوون في كل شيءٍ دون أفضلية لأحدٍ عن الآخر .. وكأنه استحضارٌ لمشهد عظيم لم يكن زمنه .. مشهد البعث والحشر .. استحضارٌ لتلك المشاعر حتى يتعلق بها القلب خوفاً ورجاءً .. فيصفو مما خالطه من شوائب الدنيا ..

والحجر الذى نطوف حوله هو بيت الله الأول فى الأرض؛ ونحن حين نعظمه ونقدّسه فنحن لا نعظم ولا نقدّس حجارته، إنما نعظم صاحبه ونقدّسه ..



وأما الحجر الذى نقبله فهو حجرٌ من الجنة لا نقدره ولا نعظمه لنفسه، وإنما ائتماراً بأمر رسول الله كما قال عمر بن الخطاب لما استقبل الحجر: أما والله لقد علمت أنك حجر، لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك قط .. فالأمر اتباع للأمر فقط ..

وهذا التقبيل ليس لنفس الحجر ولا لذاته، إنما لصاحبه.. كمن يقبل خطاباً أو هديةً من حبيته ..

أما رمى الجمار فيتجسد فيه معنى الرمزية بوضوح شديد، فهي مجرد حصيات نسميها جماراً .. والجمار هى قطع الحجر المشتعلة من شدة اللمب .. فهى مجرد رمز .. ونرميها على ما يمثلك أنت .. فكأننا بذلك نعلن براءتنا منك ومن كل وسوساتك مستعينين بالله الواحد الأحد بعدما خلصنا من كل شىء يربطنا بالدنيا ..

— وماذا عن الطواف والدوران حول الكعبة ..

لماذا تلك المشقة بلا داع ؟



- أخبرتك سابقاً أن العبادة متعة ولذة وليست مشقة،
وانظر إن شئت إلى اندفاع الناس على مكاتب الحجز
لرحلات الحج والعمرة ..

ثم إنها ليست أعمال عشوائية بلا داعٍ، إنما لها حكمة
بليغة قد فصلتها لك ..

ومسألة الدوران هي سنة كونية أصلاً من أصغر جزءٍ
لأكبر جرم .. بدءاً من الإليكترونات التي تدور حول الذرة،
مروراً بالقمر الذى يدور حول الأرض، والأرض التي تدور
حول الشمس، والشمس حول المجرة .. وهلمَّ جرَّ ..
- لكلِّ شيءٍ عندك حكمة ..

فما الحكمة العظيمة ياترى من خلق الذباب والبعوض ؟
ولماذا خلق الله الفئران والضفادع والثعابين ؟
وفي الكون الكبير .. لماذا كل هذه الكواكب والأقمار
والنجوم والسدوم والنيازك والشهب والمجرات الطويلة
العريضة لتقتصر الحياة فى النهاية على كوكبٍ واحدٍ فقط ؟



وفي نفسك .. ما فائدة شعر الرأس والحواجب والرموش والأنف ؟

- لم يخلق الله شيئاً بلا سببٍ أو حكمة، فالله مِتْرَةٌ عن العبث، ولكل مخلوقٍ صَغُرَ أو كَبُرَ مهمة ودور في المنظومة الكبيرة، وليس معنى ألا تُدرك أنت هذا الدور أنه غير موجود، فعدم إدراكك للأشياء لا ينفي وجودها، وإن كنت تتكلم عن الذباب والبعوض على أنها أشياء حقيرة لا قيمة لها .. فهي فاعلة في التاريخ ومن الممكن أن يتغير التاريخ بسبب بعوضة، ألم تقتل الإسكندر الأكبر بعوضة؟

ألم توقف تاريخه بعوضة نقلت له مرضاً مات على أثره ؟
ألم يرسل الله جيشاً إلى النمرود قوامه البعوض والذباب ؟
ثم إنه الآن في بعض الدول كألمانيا وكندا وبريطانيا قد استخدموا يرقات الذباب في العلاج؛ فهي تلتهم الأنسجة الفاسدة في الجروح أسرع من أى عقارٍ أو دواء ..



حتى الفئران كانت فاعلة في التاريخ إذ ساعدت في انتصار جيوش على أخرى بأن نقلت الطاعون إلى بعض الجيوش التي كان ضحاياها من أثر الطاعون يتجاوز العشرة آلاف يومياً، كما أن للفئران دور كبير في إجراء التجارب عليها والكشف عن الألغام ونزعها ..

ولا يخفى على أحد أن الثعابين شريكٌ أساسي في صناعة الأدوية والأمصال والعقاقير الطبية، وشريكٌ أصيلٌ أيضاً في الصناعات الجلدية ..

ثم إنَّ هذه الكائنات التي لا تعجبك وتثير استمزازك لها دورٌ كبيرٌ في إقرار التوازن الطبيعي، إذ إن بعضها يتغذى على بعض وتدخل في السلسلة الغذائية لحيوانات أخرى بأن تكون مصدر غذاء لها ..

وكذلك الكواكب التي جعلها الله زينة لنا، والنجوم التي يهتدى بها الناس في ظلمات البر والبحر، والأقمار التي تنير الليالي وتُعد مواقيت للناس فيعرفون بها الزمن ويحسبون بها



الأيام والشهور، والشهب التي تحرق من تسلل من الشياطين
ليسترق السمع ..

فضلاً عن كل هذا فهي تحفظ التوازن الكوني وتؤمن
ثبات الحركة المدارية مثلها تماماً مثل الإليكترونات حول
النواة ..

فهي تصل بالمجموعة ككل إلى حالة من التوازن الكوني
فلا تقترب من أجسام بفعل قوة الجذب و لا تبتعد عن
أجسام متجهة بعيداً بفعل قوة التنافر، وكذلك حماية
لكوكب الأرض حتى لا يبتعد عن مداره و يسقط في
الظلام..

ثم من أخبرك أن الأرض فقط هو الكوكب الذي تقوم
على سطحه حياة، فرما كانت حياة من نوع مختلف تقوم
على الكواكب الأخرى ..

من يدري !!



أما في نفسى .. فإن شعر الرأس يدفع الرأس شتاءً؛ إذ يقلل الفاقد الحرارى للجسم فى الأيام الباردة عن طريق حجز الحرارة بين خصلات الشعر ..

أما فى الصيف فهو يقى الرأس من الأشعة فوق البنفسجية الضارة ..

أما الحواجب فهى حواجز للعرق المحمل بالأملح والأتربة حين يتساقط من الجبهة والجبين حتى لا يصيب العين ..

وشعر الرموش والأنف هى فلاتر من الأتربة حتى لا تدخل العين فتؤذيها أو الأنف ومنه إلى الرئة ..

وقس على هذا فى كل شىء .. فلم يخلق الله شيئاً عبثاً، وإنما لكل شىء دورٌ يؤديه بدقة متناهية، ولا يخرج عن النص الذى رُسم له فى رواية الحياة ..

لكل شىء حكمة من خلقه .. أحياناً تكون الحكمة واضحة ظاهرة جليّة، وأحياناً تكون الحكمة خفية غير



معلومة، وأحياناً يكشف العلم والتجارب والمشاهدات بمرور الأيام حكمة خلق بعض الأشياء .. ولكن بعضها يبقى مجهولاً غائباً عن العقل والإدراك .. لكن هذا لا يعنى عدم وجوده بقدر ما يعنى قصور العقل البشرى الصغير الضعيف مهما بلغ من العلم والمعرفة عن إدراك كل جوانب الصورة والإلمام بكل خيوط الرواية لأنه جزءٌ منها ..

- أنت تناقض نفسك .. تقول حيناً إن الإنسان مخير فى كل ما يفعل .. وتقول حيناً إن له دور مرسوم فى رواية الحياة ..

- أنا لم أقل ذلك .. حينما قلت إن المخلوقات تسير حسب الأدوار المرسومة لها فأنا أقصد كل المخلوقات التى كنت تسأل عنها باستثناء الإنسان ..

الإنسان ليس مجرد ممثل فى دورٍ مكتوبٍ له يكتفى هو بتأديته .. ليست الحياة تلك المسرحية الهزلية التى تحاول إقناعنا بها، إنما الإنسان يختار كل أفعاله بكامل عقله ووعيه



وإدراكه .. وبقية المخلوقات لم تخلق بالأصل إلا تسخييراً
للإنسان العاقل المكلف الذى سيحاسب على أعماله بخلاف
جميع المخلوقات .

- وماذا عن المرأة .. هل هى الأخرى سخرها الله لخدمة
الإنسان ؟

- ومن قال إن المرأة ليست إنساناً ..
قاطعني بحماسٍ شديدٍ وكأنا عشر على كثرٍ أو قل عشر
على قبلةٍ يرميها فى وجهي فلا أستطيع ردّاً:
- ربكم من قال ذلك .. التفريق بين الرجل والمرأة
واضحٌ جليٌّ لا يحتاج نقاشاً ..

ألم يفرض ربك للذكر مثل حظ الأنثيين ؟
ألم يعطِ الرجل حق الزواج من مثنى وثلاث ورباع، بينما
المرأة لا تتزوَّج غير رجلٍ واحدٍ فقط ؟
ألم يقصر النبوة والإمامة والخطابة على الرجال وحرم
النساء ؟



ألم يصمها نبيكم بنقصٍ في العقل والدين ؟

- ليس في الأمر ثمة ظلمٌ للمرأة؛ بل للمنصف أن يقول
إن في ذلك ظلماً للرجل وتمييزاً للمرأة؛ فبالنظر إلى آية
المواريث بتمنع نجد أن الله لم يقل للأُنثى نصف حظ الذكر،
لأنه لو قال ذلك لكان نصيب الذكر هو المقياس، أما حين
قال للذكر مثل حظ الأنثيين، فقد جعل نصيب الأنثى هو
الذى يُقاس عليه نصيب الذكر، هذه واحدة ..

أما الأخرى، فتكون بالنظر إلى واقع الحياة، فالرجل إما
متزوج وإما غير متزوج، فإن كان متزوجاً فهو ينفق على
نفسه وعلى زوجته، وإن كان غير متزوج فهو يبحث عن
زوجة فيقدم لها مهراً ويشترى لها شقة ونحوه، والمرأة إما
تكون متزوجة أو غير متزوجة، فإن كانت متزوجة فلها
زوجٌ تلزمه نفقتها ولا تلزمها نفقته، وإن كانت غير متزوجة
فهي تنفق على نفسها فقط إن عذمت رجلاً ينفق عليها
كأبٍ أو أخ ..



إذن فما تأخذه المرأة وهو نصف الرجل يكون خالصاً لها، وما يأخذه الرجل وهو ضعف المرأة يكون له ولا امرأة أو أكثر ممن تلزمه نفقتهم، فكأن هذا عين التمييز والمحابة للمرأة ..

أما حق الزواج بأكثر من امرأة فهو حرص على المرأة لا على الرجل؛ لأن الرجال يموتون في الحروب والمعارك وغيره، فتصبح نسبة الرجال أقل من نسبة النساء؛ فحتى يقى الله النساء شر العنوسة أباح للرجل أن يجمع بين أكثر من زوجة إن أراد ..

فبدلاً من أن يقيما علاقة في الظل رخص الله لهما الزواج في النور ..

ولا تنس أن الوضع الجاهلي آنذاك كان يبيح للرجل أن يتخذ ما يشاء من النساء، فكان الرجل يتزوج عشر نساء إن أراد وربما أكثر، فيكون بذلك تحديد الأربعة تقييداً وليس تعديداً ..



ثم إنه يكاد يكون معطلاً لاقتترانه بشرط تحقيق العدل وهو الأمر الصعب ولو حرصتم ..

أما المرأة فلا يجوز أن تتزوج إلا من رجلٍ واحدٍ منعاً لاختلاط الأنساب ..

أما مسألة قصر النبوة والرسالة على الرجال فذلك لأنّ الرسالة تقتضى الاشتهار بالدعوة، ومخاطبة الرجال والنساء، ومقابلة الناس فى السرّ والعلانية، والتنقل فى فجاج الأرض، ومواجهة المكذبين ومحاججتهم ومخاصمتهم، وإعداد الجيوش وقيادتها والاصطلاء بنارها، وكل هذا يناسب الرجال دون النساء ..

وكذلك الإمامة والخطابة .. فسيكولوجية المرأة تختلف عن الرجل جملةً وتفصيلاً ..

وأهم ما تختلف فيه المرأة هو الحيض والولادة والنفاس والرضاعة .. مما لا يُمكنّها من القيام بهذه الأمور على وجهها الأكمل ..



كما أن الله قد قسم الأدوار والمهام بين الرجل والمرأة، ودور المرأة في بيتها زوجة وأم، وتكوينها الجسدى والعقلى يتناسب تماماً وتلك المهمة ..

أما كون المرأة ناقصة عقلٍ ودين، فهو وصفٌ وليس وصماً .. المرأة ناقصة عقلٍ لأن عاطفتها تغلب عقلها، وناقصة دينٍ لأنها -معذورة- يمنعها الحيض والنفاس عن الصلاة والصيام وقراءة القرآن أياماً ..

ليس في هذا كله أى تمييز أو محاباة للرجل .. فمن عمل عملاً صالحاً من ذكرٍ أو أنثى سيجزيه الله أجره كاملاً غير منقوصٍ .

- أراك مصرّاً على إقحام العدل في كل جملة تقولها بينما لا أثر له في الواقع .. وأنت أول المظلومين .. هل آثرك الله بمعجزة حتى تدافع عنه كل هذا الدفاع .. ثم أخبرني كيف بمحامٍ مثلك يدافع عن أشياء لم يرها ولم يرَ عليها دليلاً واحداً ..



هل رأيت سفينة نوح وهى تجوب العالم وعلى ظهرها
 الحيوانات الأليفة والمفترسة والبشر متجاورين ؟
 هل رأيت غملة تتكلم أو هدهد ينطق ؟
 هل رأيت الجن ينون لسليمان المحاريب والتماثيل ؟
 هل رأيت عصا تلقى على الأرض فتتحول إلى حية
 عظيمة بقدره قادر، ثم تضرب البحر فتشقه، ثم تضرب
 الحجر فيخرج الماء منه على طريقة جلا جلا ؟
 هل عاينت الطوفان والصفادع والجراد والقمل والدم ؟
 هل رأيت المسيح وهو يتكلم فى المهد ؟
 هل رأيت يحنى الموتى ويصنع من الطين كهيئة الطير فينفخ
 فيه فيكون طيراً ؟
 هل رأيت يبرأ الأكمه والأبرص ؟
 كيف بك تؤمن بكل هذا ولم تره ؟
 ثم أليس فى هذا تمييزاً لمن رأى واستغفلاً لمن لم ير ؟



- لست أنا من يقحم العدل في كل جملة، فالعدل هو قانون الكون، إنما أنت من تقحم الظلم في كل كلامك، تحاول أن تلحقه بالله وهو منزلة مقدّسة عن ذلك، فالظلم يحتاجه ضعفاء الحجة والمنطق، والله حكيمٌ قوياً عزيزٌ ..

ثم إن تلك المعجزات ليست سحراً ولا شعوذة ولم تتم على طريقة جلا جلا، لكنها نزلت لأناسٍ بصرين، لا يستشرف الإيمان قلوبهم، فكانوا بحاجة لمعجزات بصرية حتى يؤمنوا ..

أما إيماني بما لم أر؛ فالإيمان أصلاً يقوم على تصديق الغيبات وليس على المعاينة، فنحن نصدّق الله في أبعد من العصا والطوفان والصفادع .. نصدّقه في أن حياة باقية بعد الموت، وأن خلداً ينتظرنا إما في جنةٍ أبديةٍ أو نارٍ أبدية، بل إننا نصدّق وجود الله نفسه دون أن نراه .. لكننا رأينا أثره فيما خلق وأبدع، رأينا حكمته وقدرته وجلاله في كل صغيرة وكبيرة في الكون ..



ثم ما بال من رأى .. أكثرهم لم يؤمن بما رأى معاينةً، بل وقالوا سحرٌ مفترى، وكفروا به جهاراً نهاراً، لأنهم مكابرون معاندون نفوسهم جاحدة، أما المؤمنون أصحاب النفوس النورانية تؤمن قلوبهم قبل عيونهم ..

ثم إن في ذلك أيضاً رحمة .. فمع نزول المعجزات يشتد العذاب؛ لأنه كما أشرت ليس من سمع كمن رأى، فمن رأى وكفر له عذابٌ شديد؛ لأن المعجزة البينة الواضحة هي حجة أقيمت على من رآها ..

ثم إن الله بعلمه وحكمته يعلم ما يناسب كل عبدٍ من عبادته .. سواء بالرؤية أو بالسمع ..

ثم إن الله قد اختصنا بالمعجزة الباهرة الخالدة التي حوت المعجزات وما طواها زمن ولا غيَّبها مكان .. اختصنا الله بكلامه المعجز الهادي الشافي .. القرآن .

ابتسم في خبثٍ وقال بلهجةٍ ساخرة:

- القرآن .. ذلك الكلام الملغز المشفر غير المفهوم ..



ما معنى إيلاف قريش ؟

وإلام ترمز تلك الطلاسم التي تستفتح بعض السور مثل

الم .. الر .. كهيعص .. حم .. ص .. ق ..

يبدو هذا الكتاب أشبه بحجر رشيد !

- كتاب الله ليس لغزاً ولا شفرة ولا مجرد طلاسم غير

ذات معنى .. لكن لا يفهم معناها غير العارفين ..

هل تستطيع أن تخبرني ما معنى س و ص و ج و جتا وظا

وظتا ..

وما معنى (ل + 2ل) / 2 × ع ..

وما معنى ط نق² ع ..

هل تستطيع أن تفهم ما يكتبه الطبيب في روستته .. ثم

كيف يفهمه الصيدلاني ..

إن كل هذه الرموز لا يفهمها غير العارفين بها، ومن

سواهم يرونها طلاسم غير مفهومة، كذلك القرآن من أراد

أن يفهمه عليه أن يفهم لغته أولاً، لا بد أن يدرس اللغة التي



نزل بها والظروف التي نزل فيها والسبب الذي نزل من أجله، فكما تذهب لأهل العلم بالطب لتعرف ما بك من علة وما لها من علاج فعليك أن تذهب لأهل العلم بالقرآن لتعرف ما فيه معانٍ ..

أما الحروف المقطعة التي استهل الله بها بعض سوره فقد قال فيها العلماء ما قالوا .. فمنهم من قال هو من علم الله الذي استأثر به ولم يُبينه لخلقه، قال أبو بكر الصديق: لله في كل كتاب سر، وسره في القرآن أوائل السور، وسئل الشعبي عن ذلك فقال: سر الله فلا تطلبوه، بينما حاول بعض العلماء تفسيرها، فذهب بعضهم إلى أنها أسماء للسور، وذهب آخرون إلى أنها أسماء القرآن، بينما رأى البعض أن كل واحدٍ من هذه الحروف يدل على اسم من أسماء الله وصفة من صفاته، فمثلاً "الم" تشير إلى أن الله الأحد اللطيف المنان، حيث أشار كل حرفٍ منها إلى أول صفة من صفات الله، بينما قال ابن عباس "الم" تعني أنا الله أعلم،



"الر" أنا الله أرى، و"المص" أنا الله أفصل، وقال بعضهم هي حروف أقسم الله بها، وقال آخرون هي أكثر الحروف دوراناً في السورة، وهي أكثر الحروف مناسبةً للموسيقى الداخلية للسورة، وأقوال العلماء كثيرة في هذا الباب، وجملة القول فيه أنها حروفٌ ابتداءً الله بها بعض السور إشارةً إلى إعجاز هذ القرآن وإمعاناً في التحدى مع هؤلاء المشركين الذين ملكوا أزمّة اللغة، ونؤمن أنها من عند الله سواء أفهمنا معناها أم لم نفهم ..

اتسعت ابتسامته الحبيثة وهو يقول:

- ومن أدراك - بالأصل - أنه من عند الله ؟

ومن أخبرك أن يد التحريف والتغيير والتبديل لم تمتد إليه

وتعبث في سوره وآياته ؟

ولماذا لا يكون محمدٌ هو من كتبه بنفسه وادّعى أن وحياً

يتنزل عليه ؟



- واضحٌ من نظم القرآن أنه جاء على غير مثال، يعجز البشر بما بلغوا من علمٍ وبلاغٍ وأدب أن يكتبوا مثله، وقد تحداهم الله إنساً وجنّاً مجتمعين أن يكتبوا مثله، فلم يستطيعوا؛ لأنه ليس كمثلته شيء، بل إن معاصريه ممن كفروا به شهدوا لبيانه وبلاغته، رغم ما غاب عنهم مما حوى من معجزات علمية وتاريخية بل ومستقبلية ..

كلام الله يخترق كل الحجب .. يخترق حجاب الزمان فيخبرنا عن آثار الأمم السابقة وأخبار الأمم اللاحقة، ويخترق حجاب المكان فيخبرنا بما يقع في أرض الفرس والروم وسبأ ومصر وغيرها، وحتى حجاب النفس البشرية يسير أغوارها ويكشف عن حقائقها ودقائقها وتفصيلاتها .. ويخترق حجاب العلم فيخبر بقضايا لم يتوصل إليها العلم إلا مؤخراً مثل كروية الأرض ودوارها وحركة الجبال معها وتعاقب الليل والنهار دون أن يسبق أحدهما الآخر وتعدد مشارق الأرض ومغاربها .. حتى الذرة وما أصغر منها ..



والإعجاز الأكبر من هذا كله هو الصيغة التي حوت هذا العلم دون أن تتعالى على عقول المستقبلين في أى زمانٍ ومكان، فيقرأ الأعرابي الجاهل هذا العلم البحت في كلمات يفهمها ويعيها، لكنه لا يدرك غير وجهٍ من معانيها التي تتكشف يوماً بعد يوم ..

فيقرأ الذرة مثلاً وهو يدرك أنها النملة، ولا يدرك الوجه الآخر للكلمة والذي يحتمل المعنى العلمى الذى لن يفهمه إلا الأمم التالية له المتقدمة عليه ..

أما يد التحريف والتغيير فلم تقرب كتاب الله إطلاقاً، والدليل أن القرآن منذ نزوله إلى اليوم لم يتغير فيه حرفٌ ولا شكلة، ويكفى وعد الله بحفظه بمنأى عن التحريف ..

أما محمدٌ فلا يمكن أن يكون هو من أَلَف كتاباً يحمل فيه لنفسه عتاباً إذ تَوَلَّى عن ابن أم مكتوم، أو ينقض عملاً من أعماله إذ رأى افتداء الأسرى يوم بدر، أو يحذر نفسه من العقاب إن لم يبلغ الرسالة على وجهها ..



ثم من أين لمحمدٍ بكل هذا العلم وأنى له كشف كل تلك الحجب ومعرفة كل تلك الخفايا وهو الأُمى الذى لا يقرأ ولا يكتب ..

قاطعنى وهو يهزُّ رأسه هزة سخريةٍ واستخفافٍ وقال:

- وكيف بكم وفيكم العلماء الأجلاء والأدباء الحصفاء والمفكرون الألباء أن تتبعوا رجلاً أُمياً لا يقرأ ولا يكتب ؟
- يبدو أنك صرت تهذى وتناقض نفسك، تدعى أن القرآن من وضعه .. فلما قلنا إنه كان أُمياً تنكر علينا اتباعه.. وما جعله الله أُمياً إلا درءاً لتلك الشبهة .. أن يتهمة أحدٌ بتأليف القرآن ..

ثم إن هذا الأُمى قد علّم البشرية كلها علماً قد أوحاه الله له من فوق سمواتٍ سبع، فخرج بها من الظلمات إلى النور؛ لأن علمه ليس ذاتياً وليس من عنده .. إنما هذا العلم من لدن الله العليم الخبير .. إنما هو وحىٌ يوحى ..



- وإذا كان محمدٌ هو ذلك الآدمي البشري الذي يخطئ
ويصيب .. فلماذا لم يرسل الله ملائكةً لا تخطئ ؟
أليس أجدر برسل الله العظيم أن يكونوا على قدر
عظمته ؟

- أولاً دعنا نتفق أن أحداً لا يداني الله عظمة، فلا أحد
على قدر عظمته ..

ثم دعني أصحح لك ما تفتريه من كذب .. محمدٌ بشر
لكنه يتلقى العلم من عند الله .. وبالتالي فهو لا ينطق عن
الهُوى، وهذا يعصمه من الضلال والغواية .. لكنه بشر ..
وبحكم بشريته قد يتصرف تصرفاً عفوياً يحتمل الخطأ ..
لكن الله لا يلبث أن ينبهه إلى خطئه ويصوبه له .. فلا يقره
الله على خطأ، ولا يصبر هو نفسه عليه .. وجملة القول إنه
معصومٌ عن الكبائر دون الصغائر ..

أما قولك عن إرسال الملائكة فهو مردود .. فعين
الحكمة أن يرسل الله رسولاً من جنس المرسل إليهم، وإلا



رفضوا تلك الرسالة بدعوى أنهم لا يطيقون ما يطيقه الرسول، ولا يقدرّون على ما يقدر؛ لأن قدراته تفوق قدراتهم، وطبيعته مغايرة لطبيعتهم .. ولو كان في الأرض ملائكة لأرسل الله إليهم ملكاً ..

- أنت تزعم أن الله لم يرسل ملائكة إلى البشر .. لكن الله بنفسه أخبر في القرآن أنه اصطفى من الملائكة رسلاً ..

- إن الله لم يصطفِ الملائكة لتبأشر الناس وتخطبهم، إنما اصطفى من الملائكة من يوصل الرسالة إلى من يصطفيه من الرسل، كأمين الوحي جبريل هو رسول الله إلى محمد، ومحمد هو من يبلغ الرسالة إلى البشر ..

- دعك من هذه السيرة .. أنا لا أحب الملائكة ولا أحب الحديث عنهم ..

أخبرني .. هل من العقل والحكمة أن تعمل وتتعب وتكدّ وتغرق ثم تذهب إلى أشخاص لا تعرفهم وتمنحهم ثمرة عملك بدون أى مجهودٍ منهم ؟



أليس الله نفسه من قسَم الأرزاق ؟
ألا يستطيع أن يرزقهم إن شاء ؟
أتعدّل على الله في رزقه وتقسيمه ؟
أنت بفعلك هذا تَسِمُ الله بالظلم وتردُّ عليه قسمته وتغير
قضائه وقدره ..

- صحيح .. لو شاء الله لرزقهم وأغناهم من فضله،
لكنه لمَّا استخلفنا في الأرض أمرنا أن نقوم بواجبات تلك
الخلافة .. ثم إنه ما أغنانا حبًّا فينا ولا أحوجهم بغضاً لهم؛
إنما هما اختباران قدّرهما الله لعباده .. اختبار الغنى واختبار
الفقر، اختبار الشكر واختبار الصبر ..

فنحن حين نساعد الفقراء لا نعدّل على الله، إنما نحقق
مرغوب الله في خلقه وفي كونه ..

ونحن لا نمنح الفقراء ثمرة عملنا كما تدّعي .. إنما
نعطيهم بعض ما اختصنا الله به من رزقٍ ليختبرنا فيه ..
نعطي الفقراء تقرباً لله وإرضاءً له، نشتري الجنة بهذه



الصدقات الزهيدة، فبهذا نحن من نحتاج الفقراء وليسوا هم
من يحتاجوننا ..

إننا لا نفقد المال الذى نمنحه للفقير .. إنما نرسله لأنفسنا
فى زمانٍ آخر .. حتى نستحق اللجنة ..
ضحك بصوتٍ مفتعل وكأنه يحاول أن يوارى غيظاً
شديداً ثم قال:

- اللجنة !!

وهل تصدِّق حقاً أنها موجودة ؟
ثم إن افترضنا جدلاً أنها موجودة .. فهل تفكر للحظة
أنك ستدخلها بعد كل الشروط التعجيزية التى وضعها
ربك؛ يصفك بالخطأ ثم لا يقبل منك الخطأ ..
لقد طرد منها آدم وهو نبيه وصنعة يده وهو لم يقترب
سوى ذنب واحد .. فما بالك أنت بكثرة ذنوبك ؟
ثم من أدراك أنك إن دخلتها لن يحرم عليك شيئاً كما
حرّم على آدم وزوجه ؟



ولعله يطردك منها كما طرد آدم وحواء دون أية شفقة
أو رحمة ..

- بالطبع الجنة موجودة والنار موجودة؛ وإلا لكانت
الحياة مجرد عبث والله متّرة عن العبث متعالياً عليه ..
وعن دخول الجنة دعني أخبرك أني لا أعلم إن كنت من
ساكنيها أم لا .. لكنني بالطبع أرجو الله أن يكتبها لي
ويكتبني لها .. والله لم يجعل لدخول الجنة شروطاً تعجيزية ..
صحيح إنه أمرنا أن نخالف هوانا ونتجنب ما تعدنا أنت به
وعدم الركون إلى الدنيا .. وصحيح أننا لا نستطيع أن نلتزم
بذلك تمام الالتزام .. وصحيح أيضاً أننا خطاءون .. لكن
الله ينتظر منا توبة حتى يغفر لنا .. أوبة حتى يرحمنا .. التفاتة
إليه في تضرع ولجوء إليه في خضوع حتى يقبلنا ويتغمّدنا
برحمته الواسعة وعفوه اللامحدود ..

الله يفرح بتوبتنا أكثر مما تتصور .. لأن في التوبة إعلان
البراءة من كل شيءٍ سواه .. إعلان الخضوع والاستسلام له



وحده .. إعلان الخروج من كل ظلمات الدنيا إلى نوره
الذى لا يطفئه ذنبٌ ولا معصيةٌ مادامت تتبعها توبة صادقة
واعترافٌ بالخطأ في سلوك طريقٍ غير طريقه .. وسبيلٍ غير
الذى رسمه لنا بحكمته وعلمه ..

الله يغفر كل ذنبٍ مادام صاحبه قد أقلع عنه وأعلن ندمه
عليه .. ولم يصبر ولم يستكبر كما هو الحال بالنسبة لك ..
لذلك لا أندesh وأنا أراك غاضباً مغتاضاً وأنت تتكلم عن
الجنة؛ لأنك لن تشم ريحها يوماً ..

أما ادعائك أن الله قد طرد آدم من الجنة فهذا مردود ..
فالله لم يخلق آدم بالأساس ليعيش في الجنة وإنما خلقه ليجعله
خليفة في الأرض .. وليس في الجنة .. ثم إن الله قد تاب
عليه وسيدخله الجنة يوم الحساب ..

ثم إن آدم لم يدخل جنة الخلد أصلاً .. فجنة الخلد لا
يدخلها إلا مستحق .. وآدم كان في حياته الأولى حينها ..
ثم إن من يدخل جنة الخلد لا يخرج منها بحالٍ من الأحوال،



وجنة الخلد ليس فيها شيء ممنوعٌ أو متروكٌ أو محرّم، وهو ما يؤكد أن الجنة التي سكنها آدم ليست جنة الخلد ..
فكلمة جنة التي وُصف بها المكان الذي عاش فيه آدم معناه الحديقة .. وهو نفس الوصف الذي وصف الله به في قرآنه أصحاب الحديقة الذين منعوا الزكاة فسماهم أصحاب الجنة ..

فالمكان الذي كان فيه آدم هو مجرد مكان إعدادى تحضيرى له قبل أن يباشر مهمته على الأرض .. كالحضّانة التي يدخلها الوليد قبل أن يخرج للعالم الخارجى .. حتى يعلمه الله ما يحتاجه في الأرض ثم ينزله إليها .. لأنه ما خلقه إلا ليستخلفه في الأرض ..

أما جنة الخلد فيدخلها بعد البعث إن شاء الله ..
راح يضيّق عينيه ويفرك كفيه في خبثٍ وهو يقول:
- وهل تصدّق أن هناك بعثاً بعد الموت ؟
هل رأيت دليلاً لهذا ؟



هل عاينت تجربةً عليه ؟

هل سمعت قبلاً عن أحدٍ مات ثم بُعث بعد موته ؟
ثم قل لى .. كيف يحيا التراب الذى تفرَّق فى الأرض
واختلط ؟

وإن افترضنا أن بعضاً ينتظر الموتى ..
فما حال رجلٍ غرق فى البحر وأكله السمك .. ثم أكل
رجلٌ آخر هذا السمك .. فكيف يعيدهم ربك وقد دخل
هذا فى تكوين هذا ؟

- أما مسألة البعث فهى سهلة يسيرة على من خلق
ابتداءً؛ فمعلومٌ أن إعادة العمل أسهل من إبداعه وابتدائه ..
ومن قدر على الإنشاء والبناء والابتداء يقدر على البعث
والإعادة ..

وقضية تفرُّق التراب فى الأرض فمردودة .. فلو أنك
نثرت مسحوق ذهبٍ فى ترابٍ كثير ثم قرَّبت إليه الزئبق
لتجمَّع إليه الذهب .. وكذلك برادة الحديد بالمغناطيس



تجتمع رغم تبددها في التراب .. فكيف بالقدرة الإلهية التي
تخلق من لا شيء ..

تلك القدرة التي قلبت عصا موسى حيةً تسعى،
وأخرجت من الصخر ناقةً صالح، وأحيت قتيلًا ببعض
البقرة، وأظهرت حقيقة البعث على يد المسيح ..
أعجز تلك القدرة اللامحدودة عن إعادة الحياة فيمن
خلقت قبلاً على غير مثال ..

ألا يستطيع من نفخ الروح أولاً أن يرده ثانياً ..
التقط الكلمة من فمي سريعاً وألقى بها في وجهي ثانية:
- الروح ؟ وما الروح ؟

وكيف يمكن جمع الروح وقد تفرقت مع صاحبها في
الأرض ؟

- إن الروح سر من أسرار الله الذي لم يكشف عنه
لعباده، ولو كشف عنه لما مات أحدٌ ولا استطعنا حفظ
الأرواح ومنعها من مفارقة الأجساد ..



الروح أصلاً وحدة واحدة لا تتجزأ ولا تتفرق .. قد تتفرق المادة .. يتبخر الماء من الطين فيعود تراباً ويتفرق في الأرض، لكن الله يقدر على جمعه دون عناء ..

أما الروح فهي لا تتفرق بتفرق صاحبها .. والدليل أننا نهدب أظفارنا ونقص أشعارنا ونفقد من دمنا ولا تنقص روحنا .. وبعض الناس يصابون بأمراضٍ تضطربهم لبر بعض أعضائهم .. فهل تنقص بذلك أرواحهم ؟

ومن يتبرع لشخصٍ آخر بكيّيته مثلاً.. فهل ترى روح ذلك المتبرّع تنقص ويذهب ما نقص منها إلى شخص المتبرّع له ؟

وملاك الأمر في قضية البعث سواءً للأجساد أو الأرواح.. هو أن قدرة الله لا يعجزها شيء ولا يقف أمامها حد .. تلك القدرة يكفيها أن تقول للشيء كن فيكون ..

ضحك ضحكةً عالية ونظر إلى باستخفافٍ وازدراء

واضحين:



- كن فيكون !

هذا دليلٌ آخر على حمقكم ..

إن ربكم يستغفلكم بمثل هذه الكلمات المطّاطة عديمة

المعنى ..

فكيف يكلم غير الكائن ويأمره أن يكون .. ومخاطبة

المعدوم محال ..

وإن كان كائناً .. فما معنى أمره له ؟

- هذا ليس أمراً أو خطاباً .. فالخطاب للمعدوم محال،

وكذلك الأمر للموجود بأن يوجد وللکائن بأن يكون هو

أيضاً محال ..

إنما المراد هنا التنبيه على تمام قدرة الله ونفاذ مشيئته في

إحداث المحدثات وتكوين الكائنات وإيجاد الموجودات بما لا

يقدر عليه إلا الله ..

كن فيكون .. هي إشارة إلى قدرة الله المطلقة التي

يقابلها عجز المخلوقين المطلق إلا بما شاء الله لهم ..



- وإن كان الله صاحب هذه القدرة المطلقة بحيث يكون ما يريد به بمجرد أن يريده .. فلماذا لا يقول لعباده الفقراء كونوا أغنياء ؟

ولماذا لا يقول لأنصاره المستضعفين في الأرض كونوا أقوىاء ؟

لماذا لا ينشر دينه في الأرض بكلمة "كن" ؟

ولماذا احتاج إلى ستة أيام ليخلق الكون .. ألم يكن الأفضل أن يقول له تلك الكلمة السحرية "كن" ؟

- أولاً الله لا يحتاج .. وكان يقدر على خلق الكون في طرفة عين، لكنه خلقه في ستة أيام تعليمًا للتأني .. وربما كانت له حكمة أخرى لا يعلمها إلا هو ..

وربما قال الله لها "كن" فبدأت تأخذ مجراها في التكوين خلال الأيام الستة .. تماماً كالجنين .. يقول الله له كن، ثم يستغرق تكوينه تسعة شهور .. وهذا ليس معناه أن الله استغرق تسعة شهور في خلق الجنين .. إنما قال له كن ثم



ترك الأمر يأخذ مراحل تفاعلاته .. إذن فخلق الله السموات والأرض في ستة أيام لا يعنى أن الستة أيام كلها كانت مشغولة بالخلق .. بل قال الله "كن" وبعد ذلك ترك مكونات السموات والأرض لتأخذ قدرها ومراحلها؛ لأن ميلادها سيكون بعد ستة أيام ..

أما قدرته على إغناء الفقراء من عباده ونصر المستضعفين منهم فهي حاصلة بالفعل لمن جدَّ وكدَّ سعى واجتهد .. أما غير ذلك بأن يغنيهم بلا جهد وينصرهم بلا جهاد فلا يصح ولا يجوز .. وهو مخالفة صريحة للسنن التي وضعها الله في أرضه لمخلوقاته؛ فهو يعطى كلَّ عاملٍ بقدر عمله ..

أما بخصوص الدين فلو شاء الله لآمن من في الأرض جميعاً .. لكن الله يريد من عباده اللجوء إليه اختياراً لا إجباراً .. لذلك منحهم الحرية في اختيار ما يريدون .. يريدون أن يعلنوا طواعيةً أنه المستحق للعبادة والمتفرد بها دون غيره ..



- وإن كان هو المستحق للعبادة دون غيره .. والمتفرّد بها عمّن سواه .. فلماذا أمرني بالسجود لغيره ؟

يعاقب من سجد لغيره بالخلود في النار .. ثم يعاقبني أنا لأنى رفضت السجود لغيره !!

- يا مدلس .. إن الله لم يأمرك أن تعبد آدم .. وأنت لم ترفض أمر الله غيراً على دينك ..

أمرك الله بأداء التحية لآدم ليس أكثر .. فما كان السجود لآدم إلا كسجود يعقوب وبنيه ليوسف .. تماماً كما يقدّم العامة التحية للملوك ..

وأنت ما رفضت ذلك إلا علواً واستكباراً من نفسك .. فكيف بمن هو في مثل مقامك الرفيع أن يسجد لمثل آدم وهو في مقامه الوضيع .. هذا ما كان في نفسك وقت رفضت السجود ..

بينما حرّرت الملائكة ساجدةً لآدم .. تقدّم التحية له .. لا إكباراً لذاته وإنما إكباراً لذات الله وتنفيذاً لأمره ..



نظر إلى نظرة تتوقد من نار الغضب المنبعث من عينيه
الحمراوين وقال في انفعالٍ شديد :

- الملائكة .. الملائكة .. تتحدث عنهم وكأنهم لا
يخطئون ..

ألم يراجعوا الله في خلق آدم ؟
ألم يستنكروا عليه أن يجعل في الأرض خليفة غيرهم ؟
إن ما فعلته أنا أقل مما فعلوا ؟
- كنت أظنك تغار من آدم ونسله فقط ..
بالتأكيد الملائكة لا تخطئ؛ لأن الله لم يعطها حق
الاختيار، إنما خلقها لتنفيذ فقط ..

وليس ما فعلت دون ما فعلوا .. فأنت خالفت الأمر ..
إنما هم ناقشوه، فلما صار في الأمر تكليفاً أذعنوا ..
إنهم لم يراجعوا الله في خلق آدم ولم يستنكروا عليه كما
تدّعى .. لكنهم أبدوا تعجبهم واستغرابهم .. ليس أكثر ..
لأنهم علموا أن الإنسان سيفسد في الأرض ..



وربما كان سؤالهم اطمئناناً على أنفسهم وخوفاً على
حالمهم وحرصاً على علاقتهم بالله .. إذ ظنوا أنهم مقصّرين
في حق الله الذي يريد أن يخلق مخلوقات غيرهم، فسألوه
مستفهمين مستفسرين: لماذا تخلق آدم ونحن نسبح بحمدك
ونقدّس لك .. فكأنهم أرادوا أن يسألوا .. وهل قصّرنا في
واجباتنا لتخلق غيرنا؟

ولما أخبرهم الله أنه يعلم ما لا يعلمون أقروا له بذلك ولم
يخالفوا أيّاً من أوامره ..

- ومادام الله يعلم ما لا يعلمون .. فمن أين لهم بأن
الإنسان سيفسد في الأرض ويسفك فيها الدماء؟

- ربما عرفوه بإخبار من الله .. أو من جهة اللوح .. أو
ثبت في علمهم أن الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون،
وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم ..

أو قاسوا أحد الثقلين على الآخر حيث سكن الجن
الأرض فأفسدوا فيها قبل سكني الملائكة ..



- كيف ومتى سكن الجن الأرض وأفسدوا فيها قبل خلق الإنسان ؟

ألم يخلق الله الكون في ستة أيام فقط ؟
أليس الفاصل الزمني بين خلق الأرض والسماء والإنسان أيام ؟

ألم تخلق الأرض يومى الأحد والإثنين والإنسان خلق يوم الجمعة ؟

- ليست كل الأيام أربعاً وعشرين ساعة؛ فالقرآن يجعل اليوم تارة ألف سنة و تارة خمسين ألف سنة ..
إذن ستة أيام قد تعنى آلاف السنين أو ملايين السنين و بهذا لا يكون المخلوق فى آخر الأيام الست كالمخلوق فى أولها ..

قال محوّلًا زمام الحديث مبدلاً تعبيرات وجهه ونبرة صوته ونغمة كلامه :

- ما لقيت مثلك .. ما أعرفك بمدخلى ومخارجى !!



مادمت قد بلغت كل هذا العلم فأرح جوارحك من
كلف التكاليف .. فإن وقعت في زلة فالعلم يدفع عنك
العقوبة ..

ففضل العالم عند الله كبير ومترلته عظيمة .. إنه أفضل
من العابد كفضل الشمس على سائر الكواكب ..

- معرفتي بك ليست من نفسي ولا من ذاتي إنما هي من
عند الله .. وهذا يستحق شكراً متواصلاً قولاً وعملاً ..

ثم إن حيلك كثيرة ومتجددة وكثرة الطاعات تديمني في
معية الله الذي يدفع عني .. فأنا لا أدفع عن نفسي ..

تماماً كمن نبحه كلب .. فاجتهد في إبعاده فإنه يبعد
ويعود .. إما إن استعان بصاحب الكلب كفاه .. وأنا لا
أقدر على دفعك وحدى .. إنما أستعين بخالقك ..

أما الاكتفاء بالعلم عن العمل فهو هراء كسائر
كلامك .. فإنما فضّل العلماء بعملهم وليس بالعلم وحده ..
فالعلم حجة على صاحبه وليس حجةً له .. ولولا عملهم ما



كان لعلمهم معنى .. وإن لم أعمل بالعلم كنت كمن جمع
الناس إلى طعامٍ أعدّه ولم يأكل منه .. فهل يشيع إن شبعوا
هم .. وهل يذهب بخواء بطنه امتلاء بطونهم هم من طعامه،
ثم إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالمٌ لم ينفعه الله بعلمه ..
لأنه صار مثل الحمار .. يحمل أسفاراً ولا يعي منها شيئاً ..
ثم لماذا لا توفر نصائحك لنفسك .. فأنت بها أحق ولها
أحوج ..

بدت الدهشة على وجهه ممزوجة بالغضب والاستنكار
وهو يقول :

- إلام تلمّح ؟!

عقدت كفىّ خلف رأسي ووضعت إحدى ساقيّ على
الأخرى وقلت في هدوء :
- أنت تفهم مقصدي جيداً ..

انفجر من الغضب وراح يقول في طريقة هستيرية:

- كلكم تخطئون .. كلكم تعصون ..



لماذا أنا بالتحديد من تصيبه اللعنة ؟

لماذا أنا فقط من بين كل المخلوقات من يُحكم عليه

بالطرد من الرحمة إلى الأبد ؟

لقد كنت من الجن الصالح .. أياكون جزاء الصالحين

اللعنة والطرد من الرحمة ؟!

وأيّن خطيئى بالأساس ..

أنا لم أخطئ حين لم أسجد .. الأمر لم يكن لى .. الأمر

كان للملائكة، وأنا لست ملاكاً .. فلماذا أعاقب .. لماذا ؟

- أنت لم تكن صالحاً يوماً، إنما كنت طامعاً فى مكانة

أعلى .. أنت عبد نفسك .. لا ترى غير ذاتك .. أحببت

الرياسة والزعامة على الجن، فلمّا علمت أن عبادة الله تحقق

لك ذلك اجتهدت فى عبادته .. ليس طاعةً له ولا حبّاً فيه،

إنما طلباً لهدفك وتقرباً من مرغوبك، فلمّا أمرك الله بما

ينقض ذلك الكبرياء ويحطّم تلك الزعامة المزعومة أبيت

وعصيت الله ..



ولا تدَّع أن الأمر بالسجود لم يكن لك وكان لغيرك ..
فإنك لما أحسنت أحسن الله إليك وأعلى مكانتك وقربك
منه وجعلك في مجلس الملائكة .. فلما كان الأمر لمجلس
الملائكة بالسجود كنت مأموراً معهم .. لكنك لم تكن
طائعاً مثلهم ..

ثم لم تستغفر الله على خطئك .. إنما أتبعْتَ الخطأ
بخطيئة .. استكبرت وأصررت وطلبت الأبدية وأنت تتهدد
وتتوعد آدم وبنيه بالغواية والضلال؛ لتثبت أنك أفضل منه
كما ادَّعيت وقت رفضت السجود .. ولو استغفرت الله
وتبت إليه لوجدته غفراً تواباً .. لكنك آثرت العناد
والاستكبار واخترت لنفسك اللعنة والعذاب المؤبد والطرْد
من الرحمة ..

نحن نصيب ونخطئ .. نطيع ونعصى .. لكننا في المقابل
لا نستكبر .. بل نستغفر .. نتوب إلى الله ونتجرد من ذنوبنا
فيغفر لنا ويتقبلنا إن رأى منا إخلاصاً ..



وحتى إن زلنا مرة أخرى .. نتوب مرة أخرى، فيغفر
الله لنا مرة أخرى .. ولا يجرمنا فضله ولا يطردنا من رحمته
مادمنا نرجع إليه تائبين رافعي أكُفَّ الضراعة والندم ..
أما من عاند وأصرَّ على ذنبه وتابعك في استكبارك
سيتبعك في مصيرك ومآلك .. فكل من كان في قلبه ذرة من
كبر إلى نفس المصير الواحد المحتوم .. إلى النار ..
أطلق عدة ضحكات عالية، ثم قال ساخراً بعدما فرغ
من ضحكته:

- النار !!

وهل تحسب أن في النار عذابٌ لى ؟!

هل تخال أنها ستؤذيني مثقال ذرة ؟!

النار تصلح لتخويفكم أنتم .. هي فزاعةٌ لكم .. من
يخالف سيدخل النار .. فترتعبون وترتعدون .. أما أنا فلا ..
من النار أصلى .. إنها بيئتي وطبيعتي ووطني الأم .. فأى
عذاب يصيبني من رجوعى للمادة التى منها خلقت ؟



- هل تخدعني أم تخدع نفسك هذه المرة يا صاحب الكيد الضعيف ..

ألا تذكر ما قلته لى أول ما التقينا .. "يظنون أنى مادمت مخلوقاً من النار فأنا شعلة .. لهب يمشى على قدمين، وينسون أنهم مخلوقون من طين، فهل إذا غرست فى أجسادهم بذرة ستنبت " ..
أوليس هذا كلامك ..

ليس معنى أن الله قد خلقك من نارٍ أنك شعلة تمشى على الأرض، تماماً مثلنا .. خلقنا الله من طينٍ لكن صورنا الآن ليست مجرد اجتماع ترابٍ وماء ..

ثم انظر إلى تلك المخلوقات الطينية إذا سقطت فى بركة طين .. فما يكون حالها .. تتعذب فيها حتى تغرق .. وهو أصلها وبيئتها وطبيعتها ووطنها الأم ..

وإذا ييس هذا الطين وصار حجراً وضربت به المخلوقات الطينية فستجد لذلك ألماً عظيماً ..



وحتى إن افترضنا أن النار لن تؤذيك .. فلا تنسَ أن الله قادرٌ على تغيير طبيعتك وخواصك أو طبيعة النار وخواصها بحيث تؤذيك أذىً عظيماً يتناسب وما اقترفت من أخطاء وخطايا ..

وفوق كل هذا فإن قوانين الآخرة تختلف اختلافاً كلياً عن قوانين الدنيا ..

ثم إنك أغفلت أهم ما في العذاب .. العذاب المعنوي .. يوم يجردك الله من كبرك وتعاليك فيذلك ويرغم أنفك .. يوم يراك أتباعك ومريدوك وأنت ذليلاً لا تقوى على دفع العذاب عنهم ولا عن نفسك ..

يوم ينتزع الله منك كل قواك وقدراتك باستثناء قوة الشعور والإدراك والقدرة على الإحساس بالألم المادى المتولد عن النار .. والألم المعنوي المتولد عن الذل والخزي والهوان إذ ترى غريمك آدم وبنيه وهم يسكنون أعلى الدرجات بينما تتقلب أنت في أحقر الدرجات ..



كان يحاول كظم غيظه وكبت غضبه حينما قال
والكلمات تخرج من بين أسنانه :

- أراك تتعمد إثارتى .. لكنك لن تستطيع الصمود
كثيراً أمام حيلى ومكائدى العظيمة ..
- معى ما يعصمنى ..

ضحك ضحكةً مقتضبةً ونظر إلى بنصف عينٍ وقال
بشفةٍ ممطوطة :

- وما الذى تظن أنه يعصمك منى ..
قلت فى سرعة وكأننى كنت أنتظر سؤاله :
- الله ..

ارتجف رجفةً ارتعدت منها أوصاله وكأنه لم يكن ينتظر
الرد أو يتوقعه :
- لكن ..

- آسف .. علىَّ إنهاء المقابلة حالاً ..
نظرت إلى عينيه الزائغتين مباشرةً وقلت بنبرة تحدٍّ :



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ..

وَمَا يَزَعْنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَعٌ فَأَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ¹

وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ²

وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ³

بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في

السماء وهو السميع العليم ..

كان يتصاغر أمامي وهو يتلوّى من الألم وكأنّ سيوفاً

تقطع جسده، وما لبث أن نشبت نارٌ في كامل جسمه وهو

يصرخ متألماً ولا يقدر على دفع النار عن نفسه ..

تذكرت حينها وأنا أنظر إليه استنكاره أن تكون النار

عذاباً له ..

¹ - فصلّت 36 .

² - المؤمنون 97 .

³ - المؤمنون 98 .



لثوانٍ معدودة كانت النار تأكل جسده .. ثم ما لبث أن
اختفى عن ناظرى ولم يترك أثراً خلفه وكأنه لم يكن ..
وفجأة .. وفى اللحظة ذاتها .. انفتح الباب عن مساعدى
العجوز بهيئته الرتيبة المعتادة فى ثيابه الرثة التى لا يبدلها أبداً
وعدساته الطبية التى لا تفارق عينيه والأوراق والملفات التى
لا تبارح إبطه ..

وبمجرد أن دخل تقطَّب جبينه والتقى حاجباه تلقائياً
وقال فى اشمزازٍ :

- ما هذه الرائحة الغريبة يا أستاذ ؟

هل هذه الرائحة هنا ؟

قلت مؤنباً :

- حمداً لله على سلامتك ..

أين كنت طوال اليوم ؟

مطَّ شفتيه ورفع حاجبه الأيسر وهز رأسه مستنكراً

سؤالى :



- يا فتاح يا عليم .. ألم تطلب منى أن أذهب إلى
المحكمة وأحضر تلك الملفات ..
ابتسمت له وداعبته قائلاً :
- رفقاً بى أيها الرجل العجوز فقد صارت ذاكرتى
ضعيفة ..
وضع الأوراق على مكتبى وراح يتشمم تلك الرائحة التى
لازالت تزعجه ..
- إنها رائحة شىء محترق .. شىء عَفِن .. تبدو كما لو
كانت رائحة قمامة محترقة ..
جلست على كرسى وقد علت وجهى ابتسامة لم أدرِ
مغزاها ..
- صدقت .. إنها كذلك فعلاً !!

مَشَتْ